البديع

بين

ابن المعتز وقدامة بن جعفر

الدكتور
رجب محمد سالم رفاعى
أستاذ البلاغة والنقد المساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين . خلق الإنسان علمه البيان . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال وقوله الحق ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [١] . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله . جاء بلسان عربي مبين ليبين للناس ما نزل إليهم من رب العالمين . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى اله وصحبه أجمعين.

" وبعد "

فهذا بحث بعنوان (البديع بين ابن المعتز وقدامه بن جعفر) ومن الحقائق المعروفة أن "البديع " فرع من فروع البلاغة العربية له أهميته ومكانته من الدرس البلاغي . ولون من ألوان التعبير ظهر في الأدب العربي شعره ونثره منذ نشأته . فلقد وصل إلينا مع المروي من شعر الجاهليين والإسلاميين عدد غير قليل من ألوانه . كذلك وجد البديع في القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة والتابعين.

وكانت هذه الألوان تأتي في كلام العرب القدماء عفو الخاطر دون تكلف حيث يتطلبها المقام . ودون أن يعرفوا لها اسما أو يحددوا لها رسما . فتعطي اللفظ رواء وبهاء . والمعنى فخامة وجلالا.

يقول صاحب الطراز عن فن البديع وموقعه من البلاغة :(اعلم أن هذا الفن من التصريف في الكلام مختص بأنواع التراكيب . ولا يكون واقعا في المفردات . وهو خلاصة علم المعاني والبيان . ومصاص سكرهما . وعلم البديع هو تابع للفصاحة والبلاغة . فإذن هو صفو الصفو . وخلاص الخلاص . وبيان ذلك هو أن العلوم الأدبية بالإضافة إلى حاجته إليها .

---

[١] - سورة إبراهيم . الآية (٤)

وترتبه عليها على خمس مرات كل واحدة منها أخص من الأخرى . وهو الغاية التي تنتهي إليها كلها إذ (ليس وراء عبادان قرية)[١]

وابن المعتز كما يرى المؤرخون وأصحب كتب التراجم هو أول من ألف كتاباً يحمل اسم البديع[٢] . جمع فيه ثمانية عشر لوناً من الألوان البلاغية جعلها على قسمين:-

الأول : خمسة أنواع أطلق عليها اسم البديع . وهي : الاستعارة . والتجنيس . والمطابقة . ورد الأعجاز على ما تقدمها . والمذهب الكلامي .

القسم الثاني : أسماء محاسن الكلام والشعر . وهي : الالتفات . والاعتراض . والرجوع . وحسن الخروج . وتأكيد المدح بما يشبه الذم . وتجاهل العارف . والهزل الذي يراد به الجد . وحسن التضمين . والتعريض . والكناية . والإفراط في الصفة . وحسن التشبيه . ولزوم ما لا يلزم . وحسن الابتداء.

وقد بدأ ابن المعتز كلامه عن هذه المحسنات بقوله (نحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها . حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره . وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين . ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة . اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام . ولا ضيق في المعرفة . فمن أحب أن يقتدي بنا .ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل .ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع. ولم يأت غير رأينا فله اختياره)[٣]

---

[١] - الطراز للعلوي جـ ١ ص ٣٤٧

[٢] - ينظر : العمدة ٢٣٥/١ ، معاهد التنصيص ١٤٦/١ ، كشف الظنون ١٤٨/١

[٣] - ينظر : البديع لابن المعتز – ت، د / محمد عبد المنعم خفاجي . دار الجيل . بيروت ص ١٥٢

وكأني بابن المعتز وهو يقول ذلك قد فتح الباب أمام من جاء بعده . ومهد السبيل لكثير من العلماء الذين خاضوا بحار الصنعة . واستخلصوا فنوناً بديعية كثيرة.

وكان قدامة بن جعفر ثاني اثنين أسهما في إقامة صرح البديع الأول . فقد كان معاصراً لابن المعتز - وإن تأخر به الزمن قليلا - وكان من أغزر أهل عصره علماً . وأوسعهم ثقافة . أخذ بحظ وافر من علوم متنوعة . فبرز في اللغة والأدب والفقه . والكلام . والفلسفة . ولا سيما المنطق[١].

قال ابن النديم : (وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء . والفلاسفة الفضلاء . وممن يشار إليهم في علم المنطق)[٢]

وقد خلف قدامة آثاراً كثيرة أحصى بعضها ابن النديم وياقوت وكان من أبرز تلك الآثار التي تركها قدامة كتاب " نقد الشعر " الذي يدل على بصر بالشعر العربي . ينبئ عن حسن تذوقه[٣].

يقول صاحب الصبغ البديعي (إن قارئ ذلك الكتاب يحس من أوله إلى أخره بأنه أمام عقلية جديدة وطريقة فذة لا عهد له بمثلها من قبل قدامة . فهو يجمع إلى غزارة المادة وعمق التفكير. حسن الترتيب . والتفصيل وسهولة العبارة وإيجازها. والإطافة بالفلسفة ولا سيما المنطق . وإذا كان ابن المعتز أول من ألف في البديع فقدامة أول من غمس علم البديع في بحار الفلسفة)[٤]

ولما كان هناك تباين بين منهجي ابن المعتز و قدامة ابن جعفر في تناولهما للألوان البديعية في كتابيهما (البديع . نقد الشعر) . حاولت في هذا البحث من خلال عرض ودراسة هذه الألوان عند كل

---

[١] - ينظر : معجم الأدباء ص١٧-١٢ وما بعدها

[٢] - ينظر : الصبغ البديعي في اللغة العربية. د/ احمد ابراهيم موسى ص ١٤٣

[٣] - ينظر : الفهرست ص ١٣٠ عبد الله النديم

[٤] - ينظر : الصبغ البديعي د/ أحمد موسى ص١٤٤

منهما أن أقف على أهم خصائص وسمات طريقة كل منهما في البحث لنرى إلى أي حد وصل كل منهما من السبق أو المحاكاة وماله وما عليه.

وقد احتوى البحث على مقدمة . وتمهيد . وثلاثة فصول . وخاتمة . وفهارس للمراجع . ومحتويات البحث.

أما المقدمة : فقد تضمنت أهمية البحث ودوافعه وخطة البحث.

التمهيد : وفيه حاولت إماطة اللثام عن مدلول كلمة البديع في اللغة وعرف البلاغيين في أطوارها المختلفة عبر التاريخ البلاغي.

الفصل الأول : البديع عند ابن المعتز . ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بابن المعتز . وكتابه البديع.

المبحث الثاني : ألوان البديع عند ابن المعتز.

الفصل الثاني : البديع عند قدامة بن جعفر . ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول : التعريف بقدامة بن جعفر . وكتابه نقد الشعر.

المبحث الثاني : ألوان البديع عند قدامة بن جعفر.

الفصل الثالث : ألوان البديع بين ابن المعتز و قدامة في الميزان. ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : ألوان البديع عند ابن المعتز في الميزان .

المبحث الثاني : ألوان البديع عند قدامة في الميزان.

المبحث الثالث : الألوان البديعية التي توافق فيها ابن المعتز و قدامة . وما خلص لكل منهما.

الخاتمة : وتضمن أهم نتائج البحث.

وإني إذ أقدم هذا العمل أعلم أنه عمل متواضع . وجهد المقل . أدعو الله عز وجل أن يحظى بالقبول لدى أساتذتي الكرام. فكم أنا مدين لهم بعظيم الفضل والجميل . أدعو الله سبحانه أن يجزيهم عني وعن طلاب العلم ومحبيه خير الجزاء.

والله أسأل أن يرزقنا التوفيق والإخلاص في القول والعمل . وأن يجنبنا الخطأ والزلل . وهو حسبي ونعم الوكيل

﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

﴿ رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دكتور

رجب محمد سالم رفاعي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

التمهيد

البديع في اللغة وعرف البلاغيين
ومنزلته بين علوم البلاغة

أولاً : كلمة البديع في اللغة

باستقرائنا لكلمة البديع والبحث عن معناها في المعاجم وجدنا أنها تدور حول الجديد والمحدث . والمخترع . جاء في لسان العرب[١] : بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه أنشأه وبدأه . وبدع الركية استنبطها وأحدثها . وركيّ بديع : حديث الحفر . والبديع والبدْع : الشيء الذي يكون أولا . والبدْعة : الحدث وكل محدثة . والبديع : المحدث العجيب . والتبديع : المبدع . وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال .وحبل بديع : جديد .. وأبدع الشاعر : جاء بالبديع.

يقول الدكتور / حفني محمد شرف : هذه المعاني تنتهي إلى أمرين اثنين[٢] :

الأول الجدة التي يدل عليها إنشاء الشيء ابتداء وعلى غير مثال سابق.

الثاني : البراعة والغربة التي يدل عليها العجيب.

والوارد في سائر المعاجم لا يخرج عن هذين المعنيين اللغويين.[٣]

وقد ورد لفظ : البديع . ومشتقاته في الشعر الجاهلي . وشعر المخضرمين بمعنى الجديد والمخترع : قال عدي بن زيد[٤] :

فلا أنا بدْع من حوادث تعْتَري ∴ رجالا غدت من بعد بؤس بأسْعد

---

[١] - لسان العرب لابن منظور مادة (بدع)
[٢] - بديع القران لابن أبي الإصبع تقديم وتحقيق د/ حفني محمد شرف ص ٨
[٣] - ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس (مادة بدع)
[٤] - بديع القرآن ص ٨ ، القرطبي (١٦ ، ١٨٥) طبع دار الكتب المصرية.

وقال حسان بن ثابت : [١]

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوهم ∴ أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير مُحدثة ∴ إن الخلائق فاعلم شرّها البدع

وأما في القرآن فقد وردت كلمة " بديع " مرتين في قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] . وقوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]

ومعناهما فى هاتين الآيتين : منشئهما ومبدعهما على غير مثال سابق.[٤]

وفى الحديث الشريف ورد هذا اللفظ بمعنى الجديد الطيّب . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف تهامة : " إن تهامة كبديع العسل حلو أوّله . حلو أخره"[٥] " وقد وردت المادّة أيضا بمعنى الجدّة . فقد رُوى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : " كيف أصنع بما أبدع علىّ منها"[٦]

وفى حديث عمر : [نعمت البدعة هذه][٧]

فإذا انتقلنا إلى نصوص الأدب العربي في صدر الإسلام شعراً ونثراً وجدنا المادة مستعملة في المعاني السابقة .

---

[١] - ديوان حسان بن ثابت ط (دار صادر بيروت) ص ١٤٥

[٢] - سورة البقرة . الآية (١١٧)

[٣] - سورة الأنعام . الآية (١٠١)

[٤] - ينظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم حـ ١ ص ٨٥ ط الاميرية بالقاهرة

[٥] - ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير حـ ١ ص ١٧

[٦] - ينظر : صحيح مسلم . ط الأولى عيسى البابى الحلبى ٢ / ٩٦٧

[٧] - ينظر : اللسان والمصباح (مادة بدع)

أما في النثر فكقول علي – رضي الله عنه – (إن أبغض الخلائق إليّ رجلان : رجل وكله الله إلى نفسه . فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة . ودعاء ضلالة " . وقوله " إنما بدء وقوع الفتنة أهواء تتبع . وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله) [١]

ويقول ابن المقفع " فمن جرى على كلام يستحسن منه فلا يعجبن به إعجاب المبتدع فإنه إنما اجتباه كما وصفنا .. " [٢]

وأما في الشعر فكقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي . [٣]

فأتتها فأخبرتها بعذري ∴ ثم قالت أتيت أمراً بديعا

وخلاصة القول فإن كلمة البديع في اللغة – كما أشرت – تدور حول الجديد والمحدث . والمخترع . وقد جاءت في الشعر الجاهلي . وشعر المخضرمين . والإسلاميين كما جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف تعني هذه المعاني.

ثانياً: البديع في عرف البلاغيين:

من المناسب قبل أن نبين المعنى الاصطلاحي الذي انتهت إليه كلمة البديع مؤخراً أن نشر إلى معاني هذه الكلمة وما تعنيه في أطوارها المتتابعة في تاريخ الدراسات البلاغية . وما يندرج تحتها من فنون بلاغية.

إن أول من ألف في هذا الفن هو عبد الله ابن المعتز المتوفى سنة (٢٩٦ هـ) كما أجمع على ذلك جميع الباحثين [٤].

---

[١] – ينظر : نهج البلاغة ص ٣٥ ، ٤٥ ، بديع القرآن ص ١٠

[٢] – ينظر : رسائل البلغاء ص ٣ ط القاهرة

[٣] - ينظر : الديوان ط السعادة ص ٣٤٧

[٤] - ينظر : العمدة جـ ١ ص ٢٣٥ ، معاهد التنصيص ص ٢٧٦ ، كشف الظنون ١/ ١٤٨

وفي ضوء ما صنعه في كتابه نستطيع أن نلتفت إلى الوراء . لنعرف ماذا كانت تدل عليه كلمة (البديع)عند سابقيه من العلماء والأدباء . فيبدو لنا أن الأنواع الخمسة الأولى هي التي كانت مشتهرة باسم البديع ينصرف إليها اللفظ إذا أطلق. وقد ذكر الجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥هـ) منها الاستعارة . وعرفها : بأنها (تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه) . كما ذكر المذهب الكلامي (وهو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل المنطق) . ثم ذكر الجاحظ من غير هذه الفنون الخمسة (جودة الابتداء . وجودة المقطع)[١]

كذلك الأمر لابن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦ هـ). فقد ذكر من فنون البديع الالتفات . والكناية . والتعريض . والاستعارة. ومن غيرها : التكرار . والإيجاز والإفراط في الصفة.[٢]

كذلك كان المبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ) فقد ذكر من البديع الاستعارة والكناية. والتشبيه والالتفات . وذكر من المحاسن الغلو . والتجريد . واللف والنشر.[٣]

ويظهر أنه في عصر الجاحظ جرت كلمة (البديع) ومشتقاتها وما يقاربها في المعنى على ألسنة وأقلام العلماء والأدباء وصفا للمعاني والصور الغريبة الطريفة . أو الجيدة حتى صارت أشبه بالاصطلاح الذي يدل على الجديد المستحسن في البيان العربي.

ونتقدم مع هذه الكلمة (البديع) إلى القرن الرابع وقد صارت مصطلحا علميا يدل على هذه الفنون الجديدة الغريبة التي تكسب الكلام حسنا وقوة وبيانا . نتقدم لنلتقي بقدامة بن جعفر المتوفى سنة (٣٣٧هـ) من

---

[١] - ينظر : البيان والتبيين جـ ١ ص ١٥٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، جـ ٢ ص ١١٦ ، ١٤٧

[٢] -ينظر : الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٢ ، ٣٦ ، وتأويل مشكل القرآن ص ٧٧ ، ١٨٠ ، ١٩٩، ٢٢٣

[٣] - ينظر : الكامل للمبرد جـ ٢ ص ٩٠ ، ٩١

عاصروا ابن المعتز . فنجده يتقدم بمدلول هذا الاصطلاح . فيوسع معناه . ويضيف في كتابه (نقد الشعر) إلى ما ذكر ابن المعتز ثلاثة عشر نوعا وإن لم يسقها مساق ابن المعتز تحت عنوان البديع كما سنعرف في حينه . على أن قدامة أورد أنواعه العشرين في معرض القول في نقد الشعر . وذكر صفات اللفظ[١] وقد كان ذلك تقدما ملحوظا في تقسيم هذه الفنون البديعية إلى لفظية ومعنوية.

ويأتي بعد قدامة في هذا الباب أبو هلال العسكري المتوفى سنة (٣٩٥هـ) فقد أضاف في كتابه الصناعتين إلى ما سبق سبعة أنواع[٢] . ومعنى ذلك أن مدلول كلمة البديع اخذ في الاتساع.

ونصل إلى القرن الخامس فنلتقي بابن رشيق القيرواني المتوفى سنة (٤٦٣هـ) صاحب كتاب العمدة . في صناعة الشعر ونقده . فنلاحظ أنه أفرد بابا خاصا للمبادئ والمخارج والنهايات[٣] ولم يعدها من أنواع البديع خلافا لمن سبقه من العلماء - عدا أبي هلال العسكري- كذلك أفرد للإيجاز بابا خاصا به . ولعل ذلك كان بداءة التحول في التفرقة بين الأنواع المتصلة بأصل المعنى. والأنواع التي تعد محسّنا.

ثم إنه تصرف في أنواع البديع ضروبا من التصرف منها : نفي الشيء بإيجابه[٤] . والاطراد[٥] وقد أشار إلى أن ابن المعتز سماه (رد العجز على الصدر) ... وهكذا أخذت مفاهيم كلمة (بديع) تخضع للبحث . والتفريع والنمو مما يؤذن لها بتحول جديد.

---

[١] - ينظر : نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٩١ ، ١٣٩ ، ١٥٧ ت . د / عبد المنعم خفاجي ط أولى

[٢] - ينظر : الصناعتين ص ١١٤ ، ٤١٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧

[٣] - ينظر : العمدة ١ / ١٤٥ ، ١٧٥/٢

[٤] -ينظر : العمدة جـ ٢ ص ٦٥

[٥] - ينظر : العمدة جـ ١ ص٢٠٧

أما ابن سنان الخفاجي المتوفى سنه ٤١١هـ) فيعد امتداداً لقدامة بن جعفر . وضع كتابه (سر الفصاحة) وتناول فيه فصاحة اللفظة الواحدة . واشترط لها ثمانية أشياء . ثم أخذ يذكر صفات البلاغة في الألفاظ المؤلفة[١] . وفي أثاء ذلك عرض للأنواع البديعية.

وهذا المنهج نفسه وهو تقسيم الأوصاف إلى ما يتصل بالكلمة والكلام إنما كان امتداداً لمنهج قدامة في نقد الشعر . ثم يبرز هذه المسألة وهي : أنواع البديع منه ما مرجعه اللفظ . ومنها ما مرده المعنى . ومنها ما يتصل بهما معا . ولعل ذلك أساس ما انتهت إليه هذه الأنواع من أنها محسنات لفظية . وأخرى معنوية . ثم تكلم عن الألوان البديعية التي تنشأ من وضع الألفاظ في موضعها[٢] . كما تكلم عن الأنواع التي تأتي من مناسبة الألفاظ للمعاني[٣].

والذي لا شك فيه أن ما فعله ابن سنان من التفرقة بين اللفظي والمعنوي كان أهم الدعائم التي بنى عليها المتأخرون تقسيمهم الألوان البديعية إلى لفظية ومعنوية. ...إلا أننا ما زلنا نرى مسائل (البديع) مختلطة فيها من البيان . والمعاني . والبديع على حسب أوضاعها الخيرة . ومعنى هذا أنها لم يتميز بعضها من بعض بصورة حاسمة حتى الآن[٤].

ويعاصره الإمام عبد القاهر المتوفى سنة (٤٧١هـ) بعد ما ترك لنا كتابين في البلاغة هما (أسرار البلاغة . ودلائل الإعجاز) ويعنينا هنا أن نبيّن استعمل كلمة (البديع)

---

[١] - ينظر : سر الفصاحة ص ٦٠ ـ ٨٥
[٢] - ينظر : سر الفصاحة ص ١١٠ـ ١٨٣
[٣] - ينظر : سر الفصاحة ص ١٨٨ ـ ٢٦١
[٤] - ينظر : بديع القرآن ص ٢٤ ـ ٢٦

أما في كتابه (أسرار البلاغة) فقد اطلق اسم (البديع) على التشبيه . والاستعارة . والتمثيل[١] وعلى سائر أقسام البديع فذكر منها التجنيس[٢] والطباق .... ويريد بها الجديد والحسن والطريف . ويحاول دائما : أن يقول : إن الحسن فيها يأتي من جهة المعنى . وهكذا لا تزال كلمة البديع تطلق إطلاقا عاما على هذه الأنواع المشتركة بين علوم البلاغة في صورتها الأخيرة.

وأما (دلائل الإعجاز) فإن السبب الذي دفعه إلى تأليفه يعرف من عنوانه. وهو الكشف عن دقائق اعجاز القرآن . وتبيين الوجوه التي كان بها معجزا.

وقد وجد عبد القاهر أنه من اللازم عليه أن يعرض فيه كل ما يوصله إلى هذه الغاية التي قصدها. فتعرض لنظرية اللفظ والمعنى . ثم خلص إلى أن روعة الكلام وإبداعه ليس في اللفظ وحده . ولا في المعنى وحده . وإنما موطنها النظم. ثم يحشد الأدلة . ويعقد الفصول الكثيرة لدعم هذه النظرية وتثبيت أركانها . وجعلها مبعث الجمال وموطن الإعجاز . ولم يقف عند هذا . بل عرض لمباحث عرفت من قبله في البديع كالإيجاز والكناية والتعريض ... وتعرض لأكثرها في أسرار البلاغة . ومباحث محلها علم المعاني الآن كالفصل والوصل. والقصر . والتقديم والتأخير . والحذف . ولذلك يعد عبد القاهر الواضع الأول لأساس علم المعاني بعد أبي هلال العسكري . لكنه لم يسمّ ما ذكره من البديع بديعا . كما لم يسمّ ما عرف في علم المعاني بالمعاني . بل أطلق على الجميع بيانـاً حيث يقول (ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا. وأبسق فرعا . وأحلى جنى ..

---

[١] - ينظر : أسرار البلاغة ص ١٤-١٥ ، ٣٥١-٣٥٧

[٢] - ينظر : أسرار البلاغة ص ٤- ١٤

من علم البيان الذل لولاه لم نر لسانا يحول الوشي ويصوغ الحلي . ويلفظ الدر وينفث السحر[١])

ومما لا شك فيه أن هذا هو عين ما عرف عن البديع . وما تفيده الكلمة من المعنى (الطريف والجديد والحسن)

وإنا إذ نراه هنا يسميه (بياناً) نراه في موطن[٢] آخر يسميه (علم الفصاحة والبيان) والفصاحة . والبيان . والبلاغة . والبراعة التي هي معنى الإبداع والبديع وما شاكلهما عند عبد القاهر ألفاظ متواردة على معنى واحد. كما صرح بذلك[٣].

ومن هنا نرى أن الأنواع التي سماها في أسرار البلاغة (بديعا) سماها في دلائل الإعجاز (بيانا) فتكون اللفظتان عنده متقاربتي المعنى . فيكون البديع لا يزال يحتفظ بمعناه الذي عرف به في أسرار البلاغة[٤].

وهكذا كان أسامة بن منقذ المتوفى سنة (٥٨٤هـ) يستعمل كلمة (بديع) بمعنى الجديد الطريف الذي يكسب المعنى وضوحا وقوة . واللفظ حلاوة وجمالا. فأطلقها على خمسة وتسعين نوعا جمعها في كتابه (البديع ونقد الشعر)[٥] أعتمد فيها على ما سبقه من العلماء.

ولعل السكاسي المتوفى سنة (٦٢٦هـ) أول من حاول في وضوح أن يفصل بين هذه البحوث البديعية . وأن يتقدم بها خطوة لتتوزع بين علوم البلاغة العربية (المعاني . والبيان . والبديع) فقد ألف كتابه

---

[١] - ينظر : دلائل الإعجاز ص ٤ـ ٥

[٢] - ينظر : دلائل الإعجاز ص ٣٤٩

[٣] - ينظر : دلائل الإعجاز ص ٣٥

[٤] - ينظر : بديع القرآن . ت د/ حفني محمد شرف ص ٢٨ بتصرف يسير.

[٥] - ينظر : بديع ابن منقذ ص ٦ وما بعدها.

(مفتاح العلوم) وقسمه أقساماً ثلاثة : **الأول** تكلم فيه عن علم الصرف . **والثاني** : عن النحو . **والثالث** : عن المعاني والبيان.

وإن كان الزمخشري في مقدمة تفسيره الكشاف قسم البلاغة إلى معانٍ وبيان.

ولعل السكاكي أخذ هذه التسمية (المعاني) من تعريف عبد القاهر للنظم الذي تناول مباحث علم المعاني[١] . فقال السكاكي (ليس النظم إلا توخي معاني النحو . ولعله أيضا أول من أطلق (علم البيان) على التشبيه . والمجاز . والكناية[٢]. ثم بين منزلة علم البيان من علم المعاني فقال : (إنها بمنزلة المركب من المفرد) وأوجب لذلك تأخير البيان عن المعاني[٣].

وهكذا نجد العقلية الفلسفية أخذت تسيطر على هذه البحوث البديعية . وتحددها وتفصلها لتتمايز وتصبح أقساما . أو علوما مختلفة . وبعد ذلك يتقدم السكاكي إلى سائر الأنواع البديعية فيسميها محسنات يُصار إليها لقصد تحسين الكلام[٤].

وهي قسمان :-

الأول : أنواع كالمطابقة . ومراعاة النظير . واللف والنشر . والتقسيم والإبهام.

الثاني : وتحته : التجنيس . والترصيع . والقلب . ورد العجز على الصدر .

وهكذا ينتهي الأمر عند السكاكي إلى تقسيم هذه الأنواع البديعية إلى أقسام رئيسية ثلاثة وضع اسم (علم المعاني) لمباحث الجملة وما إليها . واسم (علم البيان) لمباحث الصورة . وترك سائر الأنواع تحت اسم

---

[١] - ينظر : دلائل الإعجاز ص ٤٠ ، والمفتاح ص ٧٠

[٢] - ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٧٦ وما بعدها .

[٣] - ينظر : مفتاح العلوم ص ١٧٩

[٤] - ينظر : مفتاح العلوم ص ١٧٩ - ١٨١

المحسنات التي قسمها قسمين: معنوية ولفظية . وبقيت خطوة صغيرة . فجاء الخطيب القزويني المتوفى سنة(٧٣٩هـ) وخطا هذه الخطوة الأخيرة . فوقف عند ما سماه السكاكي بالمحسنات . ولم يحتفظ له بذلك الاصطلاح القديم وسماه (علم البديع) وعرفه في كتابه تلخيص المفتاح بقوله : (هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة)[١] وهذا هو المعنى الذي اصطلح عليه البلاغيون مؤخراً حتى الآن.

والمناسبة بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي واضحة جلية . وذلك أن الجديد أو المحدث العجيب . أو المخترع من شأنه أن يكون فيه حسن وبهجة وطرافة وروعة . وبهاء ورواء . ولذة ومتعة.

ونحن إذا استعرضنا ألوان الكلام التي أطلق عليها المحدثون اسم البديع أو اللطيف ألفيناها تكسب الكلام حسنا وجمالا . وتخلع عليه بهجة وجلالا . مما يجعل بين المعنى الاصطلاحي واللغوي رحما قريبة . وصلة وشيجة سوَّغت التسمية وجوَّزت الإطلاق.[٢]

ثالثاً : صلة علم البديع بعلوم البلاغة ومنزلته منها:

رأينا عند الكلام عن معنى كلمة البديع وما تعنيه في أطوارها المختلفة في تاريخ الدراسات البلاغية أن القدماء كانوا يطلقونها على علوم البلاغة . وكانت هذه الكلمة عندهم مرادفة لكلمة البلاغة . فهم لا يفرقون بين ألوان البديع وبين غيرها من الألوان البلاغية الأخرى كالتشبيه والاستعارة.

أما المتأخرون : ونعني بهم السكاكي والخطيب القزويني وسعد الدين

---

[١] - ينظر : شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٢

[٢] - ينظر الصبغ البديعي د / أحمد ابراهيم موسى ص ١٤

التفتازاني وغيرهم من شراح التلخيص فقد جعلوا البديع أحد علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع كما جعلوه في منزلة بين منزلتي المعاني والبيان تابعا لهما . لأنه ليس من مقومات البلاغة ولا الفصاحة. إذ من شأنه أن يكسو الكلام بهجة وجمالا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة.[١]

وإذا كانت هذه صلة علم البديع بعلوم البلاغة فإن ذلك يسمح لنا أن نصرح بأن للبديع منزلة رفيعة إذا أتي عفوا دون تكلف. وتطلبه المعني.

وإذا كانت اللغة العربية اختصت بمميزات وخصائص جعلتها أكثر مرونة وقابلية للاتساع والشمول لتواكب حركة الحياة. وجعلت منها لغة حلوة المذاق ترطب لسان الناطق بها. وتلذ لها أذن سامعيها. فإن أبرز هذه الخصائص الوجوه التي تحسن الكلام وتزينه. وتجعل له في القلب موقعاً جميلاً. وفي الأذان مذاقاً حلوا . والتي انتظمت تحت اسم البديع.[٢]

ويحدثنا صاحب الطراز عن البديع وصلته بعلوم البلاغة وعن فخامة منزلته وعلو مكانته فيقول: (اعلم أن هذا الفن من التصرف في الكلام مختص بأنواع التراكيب. ولا يكون واقعا في المفردات. وهو خلاصة علمي المعانيَ والبيان. ومُصَاص سكرهما. وعلم البديع هو تابع للفصاحة والبلاغة. فإذن هو صفوُ الصفو. وخَلاَصُ الخلاص. وبيان ذلك هو أن العلوم الأدبية بالإضافة إلي حاجته إليها وترتبه عليها . علي خمس مراتب كل واحدة منها أخص من الأخرى. وهو الغاية التي تنتهي إليه كلها)[٣]

---

[١] - ينظر شروح التلخيص جـ ٤ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣.

[٢] - الفنون البديعية يَ دوائر البحث البلاغي ص ١٠، ١١ بتصرف. ا .د / فوزي السيد عبد ربه.

[٣] - ينظر الطراز للعلوي جـ ٣ ص ٣٤٧ دار الكتب العلمية بيروت.

والعلوم الأدبية الخمسة التي اشار إليها العلوي هي: علم اللغة. والصرف. والإعراب.والمعاني. والبيان وكل منها يعلو مرتبة ما يسبقه. لخصوصية فيه لا توجد في سابقه. وهذه الخمس تنتهي بالبديع فيكون هو الغاية المبتغاة. والنهاية المنشودة. والخلاصة والصفو.

كما يحدثنا صاحب الصبغ البديعي عن منزلته أيضاً فيقول: (هذه الصنعة يعني البديع- تخلع علي النظام ثوب الرونق. وتكسبه الروعة إذا كانت سهلة سمحة متسمة بسيمي الطبع القوي. والفطرة الجياشة التي تحرص علي المعني فتوفر له كل ما يكسبه القوة والإبانة والوضوح. وتجلب له من الألفاظ ما يلائمه ويتفق معه. فالصبغ البديعي بهذا الوصف إن بدا في رسالة كان عينها. أو في خطبة كان وجهها. أو في قصيدة كان بيتها)[١]

[١] - ينظر الصبغ البديعي لأحمد ابراهيم موسي ص ١١٣.

الفصل الأول

ألوان البديع عند ابن المعتز

ويحتوي على مبحثين

المبحث الأول : التعرف بابن المعتز ، وكتابه البديع

المبحث الثاني : ألوان البديع عند ابن المعتز

المبحث الأول

التعرف بابن المعتز . وكتابه البديع

أولا : التعريف بابن المعتز :

١- اسمه ونسبه :[١]

هو أبو العباس عبد الله ابن الخليفة المعتز بالله ابن الخليفة المتوكل على الله ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة هارون الرشيد ابن الخليفة محمد المهدي ابن الخليفة أبي جعفر عبد الله المنصور ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي جد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

٢- مولده ونشأته :[٢]

ولد عبد الله بن المعتز في عام (٢٤٧) للهجرة قبل أن يقتل جده المتوكل بأربعين يوماً . فلم يكد يتقدم في الحياة حتى سفك دم جده . ولقي القصر عناء شديداً من هذه النكبة . فتفرق أهله . ونكب أبناء المتوكل . ولكن شاء الله أن يعود إليهم الأمر مرة ثانية بعد مشقة وطول عناء . فأخذت الأعاصير تهدأ . ولم يكد ينتصف محرم عام ٢٥١هـ حتى أطلق سراح المعتز وبويع له بالخلافة في سامراء . وبعد عام أخر قضى المعتز على المستعين وأنصاره . وبويع له في بغداد بالخلافة وعمر ابنه خمس سنين .

ابتدأ عهد جديد في حياة الأمير الطفل . وازدهرت في نفسه الآمال المنشودة في مستقبل حياته . فلقد كان حافلا بأسباب العظمة والمجد والأمن والنعمة في ظلال والده الخليفة . ولكن العهد لم يطل .

---

[١] - ينظر : ترجمة ابن المعتز في تاريخ بغداد ج ٩٥/١٠ . وتاريخ ابن الأثير جـ ١٤/٨ . ١٦/١٥

[٢] - ينظر : ترجمة ابن المعتز في نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ١٦٤ وما به من مراجع ، من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين ص ٧٠٤

فبعد قليل وفى أواخر رجب سنة (٢٥٦) هـ و عبد الله بن المعتز في الثامنة من عمره خُلع والده من الخلافة . ثم قتل بعد آلام وأحداث جسام يشيب لهولها الطفل . ويفزع لقسوتها الحليم . شردت أسرته وصدرت أموالها . وأحاط بها الفزع والخوف من كل جانب . فكان لذلك أبلغ الأثر في حياة ابن المعتز ونفسيته . إذ بفقد والده فقد كل شيء في الحياة وفى ذلك يقول :

مضوا بخير عمري ∴ وتركوا لي الشرا

عاشوا بخير عصر ∴ سقيا لذاك عصرا

٣- أساتذته : [١]

نشأ عبد الله بن المعتز – كما رأينا – في قصور الخلافة نشأة مترفة ناعمة . وأكب على طلب العلم والأدب يأخذهما من علماء عصره الزاخر بألوان الثقافات والعلوم والأدب .

فكان من أساتذته العالم اللغوي والأديب المشهور محمد بن يزيد المبرد (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) وأبو العباس أحمد بن يحيى المشهور بثعلب (المتوفى سنة ٢٩١هـ) وأحمد بن سعيد الدمشقي (المتوفى سنة ٣٠٦ هـ) الذي يثني عليه المؤرخون كثيرا . وحدّث في بغداد وروى عنه كثير من المؤرخين . وهو الذي تعهد ابن المعتز منذ الصغر . وكان يلازمه في كبره . وروى أدبه بعد مقتله .

وفوق ذلك كله أخذ ابن المعتز اللغة والغريب عن الأعراب الفصحاء . وكانت داره مغاثا لأهل العلم والأدب. وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم [٢]

---

[١] - ينظر : ابن المعتز العباسي (سلسلة أعلام العرب) ص ٢٣ د / أحمد كمال زكي وابن المعتز وآراؤه البلاغية ص ٩-١٣

[٢] - ينظر : الفهرست لعبد الله النديم ص ١٦٨ ، الأوراق ص ١٠٧

٤- ثقافته :[١]

كان ابن المعتز علما من أعلام الأدب والنقد والبيان والفكر . وشاعرا ممتازا يخلف أبا تمام والبحتري وابن الرومي على عرش القريض.
كما أنه كان يحيا حياة الرجولة المكتهلة . والرأي الناضج . والحكمة العميقة . والتجربة الصحيحة . واسع الثقافة غزير الاطلاع . كثير البحث والكتابة والتأليف . وأجمع على ذلك جميع الباحثين .
فقد كان مخالطا للعلماء والأدباء معدوداً في جملتهم . تأدب – كما رأينا – على شيوخ العربية في عصره فنشأ ولوعا بالأدب . بارعا فيه غزير الفضل . ونشأ في الرواية والسماع فكان يكثر في مجالسه من حدثنا وأخبرنا . وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم . وكان يلازم كبار العلماء والشعراء وأعلام الأدب في بغداد . وكان متعلقا بقراءة الكتب وتواريخ من سلف حاويا زبدة العلوم والفنون والأدب
وقد نبغ ابن المعتز في الشعر وأجاد فيه . وكان مترسلا وكاتبا بليغا . يقر له العلماء بالبيان والبلاغة . وكان ناقدا واقفا على خصائص الأدب والشعر والبيان . وله آثار كثيرة في الشعر والكتابة والنقد . وذلك كله دليل على سعة ثقافته الأدبية والعربية التي كان من أساتذته فيها المبرد وثعلب .
كما أن له ثقافة في التاريخ . وعلوم الدين . وعلم الكلام
وبعد فإن لنشأة ابن المعتز وبيئته وحياته وصلاته بأجواء الحياة الأدبية والعلمية والاجتماعية في عصره اتصالا وثيقا ولخبرته العامة وتجاربه الواسعة. لكل ذلك أثره البعيد في عقلية الشاعر وثقافته .

---

[١] - ينظر : معجم الأدباء حـ ١٠٩/٦ ، الأغاني حـ ٩٧/٩ ، ١٠١ – ١٠٤ ، ١٢٣ ، وابن المعتز وآثاره في الأدب والنقد والبيان د / خفاجى ص ١٢٨ ، ١٢٩

ولكن مهما قيل عن ابن المعتز فهو شاعر أولا وعالم ممتاز في الصف الأول من علماء عصره أخيراً [١]

٥- أثاره العلمية :

لقد خلّف ابن المعتز وراءه مجموعة من المؤلفات العلمية التي تعد مفخرة للمكتبة العلمية والعربية منها : [٢]

١- كتاب الزهر والرياض ٢- كتاب البديع ٣ - مكاتبات الإخوان بالشعر ٤- كتاب الجوارح والصيد ٥- كتاب أشعار الملوك ٦- كتاب فصول التماثيل في تباشير السرور ٧- كتاب حلى الأخبار ٨- كتاب الآداب ٩- ديوانا من الشعر ......الخ وأكثر كتبه مفقودة .

هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الرسائل النثرية التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه كان كاتبا من كبار كتاب عصره .

وتمتاز كتابته بسلاسة أسلوبها وجماله وإشراقه . وبسمو معانيها ودقتها . وغلبة روح الحكمة عليها . وبصدورها عن طبع متمكن من اللغة وآدابها .

٦- وفاته : [٣]

ولى الخلافة يوما وليلة ثم مات مقتولا . وقيل مخنوقا سنة (٢٩٦) هـ ورثاه كثير من الشعراء منهم ابن بسام الشاعر فقال :

لله درك من ميت بمضيعة	⁖	ناهيك من علم ومن أدب
ما فيه لو ولا ليت فتنفعه	⁖	وإنما أدركته حرفة الأدب

---

[١] - ينظر : ابن المعتز وأثاره في الأدب والنقد والبيان للدكتور / عبد المنعم خفاجى ص ١٣٣

[٢] - ينظر : رسائل ابن المعتز ص ٦ ، ومقدمة طبقات الشعراء ص ١١ ، ١٢

[٣] - ينظر : وفيات الأعيان لابن خلكان حـ ٤٦١/١ .

ثانيا : التعريف بكتاب " البديع "

يعد كتاب البديع لابن المعتز أول كتاب أخرج للناس بهذا الاسم . وقد ألفه سنة (٢٧٤) هـ كما يقول .[١]

وكان الباعث على تأليفه والغرض منه كما يقول : " وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع . وفي دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التي قصدنا إليها ".[٢] فنافح ابن المعتز عن المحدثين واحتج للبديعيين بهذا الكتاب الذي أثبت فيه أن البديع معروف في العربية منذ العهد القديم . وقد صرح بذلك في صدر كتابه فقال " ليُعْلَم أن بشاراً ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يَسْبقوا إلى هذا الفن " ولكن كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه .

فغايته من الكتاب التي يعلنها فيه إعلانا دون مواربة هي : أن يثبت أن المحدثين لم يخترعوا البديع الذي يلهجون به . وإنما هو موجود من قديم في القرآن . واللغة والحديث . وأشعار المتقدمين . ثم جاء الشعراء المحدثون من أمثال بشار بن برد . ومسلم ابن الوليد . وأبى نواس . وأبى تمام فأكثروا منه في أشعارهم وقصدوا إليه

وأول ما يلفت النظر في هذا الكتاب أن لون الثقافة البادية عليه عربي خالص من شوائب الثقافات الأخرى . وأن ابن المعتز استخدم مصطلح " البديع " بمدلوله العام الذي كان شائعا في عصره . أي بما يشمل كل الصور والأساليب البلاغية الطريفة . وليس بمدلوله الخاص الذي تحدّد له فيما بعد على يد السكاكى " المتوفى ٦٢٦ هـ "

---

[١] - ينظر : البديع لعبد الله بن المعتز ص ٣
[٢] - المرجع السابق ص ٥٧

ومن تبعه . والذي ينحصر البديع بموجبه في مجموعة من المحسنات اللفظية والمعنوية الخاصة — كما أشرنا [١]

فابن المعتز يعد " الاستعارة " من البديع . بل إنه يجعلها الباب الأول منه ويعالجها في أول الكتاب . وقد ظل مصطلح " البديع " كما أشرت في التمهيد — يستخدم بهذا المدلول العام ولم يأخذ مفهومه البلاغي المحدّد إلا في أواخر القرن السابع الهجري . [٢]

ثم إن موضوع كتاب البديع ذكر لألوان البديع وشواهدها في الأدب العربي شعراً ونثراً . يذكر مؤلفه ما أثر للون البديعي من شاهد في كتاب الله ثم في حديث رسوله . ثم في كلام الصحابة والأعراب . وبلغاء الكُتَّاب ثم في الشعر العربي الجاهلي . فالإسلامي فشعر المحدثين . ويختم كل لون بذكر ما عيب من شواهده المتكلفة السقيمة. [٣]

فالكتاب حافل بشتى النصوص التي جمعها ابن المعتز وساقها في عرض جميل ونظام محكم . فهو ينم عن إطلاع عميق على كتب الأدب والنقد والبيان التي كانت في متناول الشباب الناشئين إذ ذاك . كما تنم عن نشأة عالية على يد شيوخ العربية وأئمتها .

وقد اشتمل الكتاب على خمسة فنون أطلق عليها ابن المعتز اسم البديع وبنى عليها الجزء الأكبر من الكتاب وهي : الاستعارة . والتجنيس . والمطابقة . ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها . والمذهب الكلامي . ثم اتبعها بثلاثة عشر فنا أطلق عليها محاسن الكلام وهي : الالتفات . والاعتراض . والرجوع . وحسن الخروج من معنى إلى معنى . وتأكيد المدح بما يشبه الذم . وتجاهل العارف . والهزل يراد به الجد. وحسن التضمين . والتعريض . والكتابة . والإفراط في الصفة .

---

[١] ـ ينظر : ابن المعتز وآراؤه البلاغية والنقدية ص ٣٢ ، ٣٣

[٢] ـ ينظر : مصطلحات بلاغية د/ أحمد مطلوب ص ٨٨

[٣] ـ ينظر : البديع لابن المعتز تحقيق وتعليق د/ عبد المنعم خفاجى ص ٢٠

وحسن التشبيه . وإعنات الشاعر نفسه في القوا في وتكلفه من ذلك ما ليس له . وحسن الابتداءات .[١]

وهذه الفنون لها مبحث خاص في هذا البحث سأتناولها فيه - إن شاء الله بشيء من التفصيل .

ولكتاب البديع ميزات كبيرة الأهمية[٢] :

١- فهو ينحو في دراسة ألوان البديع وفنونه دراسة تطبيقية واسعة. لها أثرها في تكوين الملكة والذوق . وفي دعم الفكرة والرأي في نفس القارئ.

٢- الكتاب مطبوع بالطابع الأدبي الخالص . فهو خلو من الاصطلاحات العلمية وتحديدات المنطقيين العقيمة . وهو يكتفي في توقيفك على مدلول اللون البديعي بشرح أدبي موجز حيناً . وبما تدل عليه الشواهد حيناً آخر . وبأسلوب واضح.

٣- يمتاز برقَّة الذوق وسعة الاطلاع وحسن الاختيار في جميع شواهد الكتاب.

٤- يمتاز أيضاً بالنظام الدقيق في العرض مما يتجلى للقارئ في جميع أبواب الكتاب.

٥- يعد الكتاب أول خطوة عملية موفقة في التأليف في البديع وفي البيان فلا شك أن بعضاً من موضوعات الكتاب كالاستعارة والتشبيه هما العمودي الفقري للبيان العربي عند علماء البلاغة والبيان . أما ما عداهما من أنواع البديع الباقية التي احتوى عليها الكتاب فهي أهم أبواب البديع عند علماء البديع.[٣]

---

[١] - ينظر : المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣

[٢] - ينظر : المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٩ بتصرف

[٣] - ينظر : البديع لابن المعتز . د/ عبد المنعم خفاجي ص ٦٥

٦- يعد كتاب البديع مصدراً مُهماً اعتمد عليه الكثير من جاءوا بعد ابن المعتز كالأموي حين ألف موازنته[١] . وأبي هلال في كتاب الصناعتين[٢] وابن رشيد حين درس في عمدته ألوان البديع وقد أشاد به إشادة العارف بقيمته وخطره[٣] ويشير إليه الباقلاني في إعجاز القرآن . ويأخذ منه[٤] .

٧- لكتاب البديع - أيضا - أهمية كبيرة في فهم نشأة البديع وتطوره في الأدب العربي . وعلى مرور عصوره الأدبية المختلفة . وهو من هذه الناحية كبير الأثر عظيم الخطر وكل من عرض لنشأة البديع وتطوره من علماء النقد كالأموي . والقاضي الجرجاني وسواهما فلا شك أنه كان متأثرا بكتاب البديع.

أهم مصادر كتاب البديع[٥]

إن أهم مصادره واجلّها كتاب " قواعد الشعر " لثعلب الذي احتذاه ابن المعتز في التأليف والبحث في أساليب البديع . وكتاب " البيان والتبيين" للجاحظ . حيث أخذ منه ابن المعتز كثيراً من النصوص والشواهد المختارة من بديع النثر الأدبي . كما أخذ من حماسة أبي تمام بعض شواهد البديع من الشعر العربي.

وإذا كان لي من كلمة بعد فإنه يتضح لنا مما تقدم - إحقاقا للحق - أن ابن المعتز لم يكن له فضل في هذه التسمية أي تسمية ما أورده في كتابه من ألوان بديعية . فقد استخدم الجاحظ هذه الكلمة في معناها الأدبي عندما قرر في كتابه (البيان والتبيين) أن البديع مقصور على

---

[١] - راجع ص ٧، ٨، ٩، ١٤، ١٦، ١٤، ٦١، ١٢٣، ١٢٤ من الموازنة ط مكتبة صبيح

[٢] - الصناعتين ص ٢٥٧ ، ٤١٦

[٣] - العمدة لابن رشيق جـ ١ ص ١١٠، ٢٣٥

[٤] - إعجاز القرآن للباقلاني ص ٧٩ ، ٦٩ وما بعدهما . و ٨١

[٥] - ينظر : البديع لابن المعتز ص ٦٩

العرب . ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة . وأربت على كل لسان . والرّاعي كثيرُ البديع في شعره . وبشار حسن البديع . والعتابي يذهب شعره في البديع "[١] .

ولكن الفضل الذي يرجع إليه – إضافة إلى ما تميز به كتابه – كما أشرنا – إليه هو أنه أول من جمع فنون البديع في كتاب باسمها . وشرحها من خلال الشواهد الكثيرة التي أوردها من القرآن الكريم . وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام . ومن النظم والنثر . في كتاب يحمل اسمها . فقيمة الكتاب في أن فكرة صاحبه الأصلية خاصة بالبديع دون غيره.

يقول أستاذنا الدكتور / عبد القادر حسين بعد ما أثبت أن الكثرة الوافرة من الألوان البديعة . أو محاسن الكلام كما يسميها ابن المعتز مسبوقا إليها . وأن معظم هذه الكثرة قد تناولها السابقون كسيبويه (ت ١٨٠ هـ)[٢] . وابن قتيبة (ت١٧٦هـ)[٣] . والفراء (ت ٢٠٧ هـ)[٤] والجاحظ (ت ٢٥٥)[٥] والمبرد (ت ٢٨٥)[٦] وثعلب (ت٢٩١)[٧] .. وغيرهم

يقول : فقيمة كتاب البديع لابن المعتز لا ترجع إلى أنه جمع ألوان البديع في كتاب واحد . فهو في واقع الأمر لم يجمعها كلها كما ذكرنا . وإنما اقتصر على بعضها مما كان شائعا في عصره وقبل عصره . بل قيمة هذا الكتاب ترد إلى أن البديع فيه لم يكن أمراً ثانويا كما كان عند السابقين . بل كان محوراً رئيسيا تدور حوله صفحات الكتاب الذي صنف من اجله . فكان بذلك أول مؤلف في البديع . لأنه أول مؤلف من

---

[١] - ينظر البيان والتبيين للجاحظ حـ ٣ ص ٢٤٢
[٢] - الكتاب لسيبويه
[٣] - المشكل ، عيون الأخبار لابن قتيبة
[٤] - معاني القرآن للفراء
[٥] - غريب القرآن للجاحظ
[٦] - الكامل للمبرد
[٧] - قواعد الشعر. لثعلب

نوعه. إذ لم يكن ينحو فيه منحى أحد ممن سبقه . ففكرة الكتاب الأساسية لابن المعتز خاصة . دون غيره. أما القول بأن مادة البديع وألوانه كانت مبسوطة في كتب السابقين فذلك لا يقلل من أهمية الكتاب . فلا شيء يخلق من عدم . وإنما ثمة بزور لكل شيء . ولكن العظمة لا تكتب إلا لمن يحسن استغلال هذه البزور حتى تنمو على يديه وتنسب إليه . ومن ثم نال ابن المعتز تقدير العلماء . واستحق أن يكتب لمصنفه الخلود.[١]

[١] - ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي للدكتور عبد القادر حسين ص (٢٥٩)

المبحث الثاني

ألوان البديع عند ابن المعتز

ذكر ابن المعتز في كتاب البديع . ثمانية عشر لونا من ألوان الكلام نوعها إلى نوعين :

الأول : خمسة أنواع أطلق عليها أسم البديع وهى :
الاستعارة . والتجنيس . والمطابقة . ورد العجز على الصدر . والمذهب الكلامي .

الثاني : أطلق عليه محاسن الكلام ويقول : إنها كثيرة ولا يرى حرجا في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع [١] . وذكر منها ثلاثة عشر نوعا : الالتفات . والاعتراض . والرجوع . وحسن الخروج من معنى إلى معنى . تأكيد المدح بما يشبه الذم .تجاهل العارف . وهزل يراد به الجد . حسن التضمين . التعريض . والكناية . الإفراط في الصفة . حسن التشبيه . إعنات الشاعر نفسه في القوافي. وتكلفه من ذلك ما ليس له . حسن الابتداءات .

هذه.هي ألوان البديع الثمانية عشر التي أوردها ابن المعتز في كتاب البديع وقد تناولها بأسلوب متميز حيث استهل كل لون ببيان مدلوله بشرح أدبي موجز حينا وبما تدل عليه الشواهد حينا آخر . وبأسلوب يفيض بلاغة وسهولة مما يدل على ذوق سليم وفطرة عربية مطبوعة . كما أتبع كل لون بمجموعة من الشواهد المتنوعة .

وإليك الآن عرض لهذه الألوان كما ذكرها ابن المعتز في كتابه البديع وأهم ما أورده لها من شواهد ونصوص .

---

[١] - ينظر : البديع لابن المعتز ت د / عبد المنعم خفاجى ص ١٥٢

١ـ الاستعارة :[١]

عرفها ابن المعتز بقوله : " هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها " ومثل لها بأمثلة كثيرة منها قوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[٤] وأول ما يلاحظ من كلام ابن المعتز انه عنى بتعريف الاستعارة . فلم يكتف بالتمثيل لها بل وضع حدا لها . والاستعارة في هذه الآيات في قوله تعالى " أم الكتاب " و" جناح الذل و " اشتعل " .

ومن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قوله [خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله. كلما سمع هيعة طار إليها][٥] استعارة الطيران للعدو .

ومن الاستعارة قول امرئ القيس[٦]

وليل كموج البحر ارخى سُدوله ∴ علّى بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه ∴ وأردف اعجازاوناء بكلكل

هذا كله من الاستعارة . لأن الليل لا صلب له ولا عجز .

ومنها قول النابغة :[٧]

وصدر أراح الليل عازب همّه ∴ تضاعف فيه الحزن من كلّ جانب

---

[١] ـ المرجع السابق ص ٧٦ _ ١٠٦

[٢] ـسورة آل عمران . الآية ٧

[٣] ـ سورة الإسراء . الآية ٢٤

[٤] سورة مريم.الآية ٤

[٥] ـ البديع ص ٧٧

[٦] ـانظر : ديوان امرئ القيس نشر دار / بيروت ص ٤٨

[٧] ـ انظر : ديوان النابغة ص . ٥

أراد قوله : أراح الليل عازب همه . هذا مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى مباءتها . أي موضع تأوي إليه .

ولم يكتف ابن المعتز بتعريف الاستعارة والتمثيل لها . ولكنه ختم كلامه فيها بذكر المعيب منها . ومن الاستعارة المعيبة عنده قول القائل في يوم مطر شديد : قد انقطع شريان الغمام . وكقول حبيب بن أوس الطائي :[١]

فضربت الشتاء في أخدعيه ∴ ضربة غادرته عوداً ركوبا

فالشاعر يصوّر انتصار أبي سعيد الثغرى في بعض معاركه مع الروم وقد تراكمت الثلوج . فجعل للشتاء اخدعا ... فعده ابن المعتز من معيب الاستعارة على الرغم من علمه أن أبا تمام صاحب مذهب جديد ومن حقه أن يجدد . وأن يقترح من الأدوات ما يرد وكان يحسن بابن المعتز أن يخضع لهذا المذهب الجديد . وأن يعرف أن هذا نوع آخر في الاستعارة . ليس هو الاستعارة المألوفة . وكان من الممكن أن يسميه اسما جديدا كما فعل المتأخرون . إذ سموه الاستعارة المكنية .

٢- التجنيس :[٢]

عرفه بقوله : هو أن تجئ الكلمة مجانسة لأخرى في بيت شعر أو كلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها .

وقال الخليل :[٣] الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو . فمنه : ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها . مثل قول الشاعر :

---

[١] - انظر : ديوان أوس الطائي شرح الخطيب التبريزى ص ١٦٦

[٢] - ينظر : البديع ص ١٠٩-١٢٣ . وقد تأثر في هذا الباب بثعلب (٢٤ قواعد الشعر)

[٣] - إمام اللغة والأدب وصاحب كتاب العين ، ومبتكر علم العروض وأستاذ سيبويه (١٠٠ – ١٧٠) هـ

" يوم خلجتْ على الخليج نفوسهم .... "[١]

أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول مسلم بن الوليد.

يا صاح إنَّ أخاك الصَّبَّ مهموم ∴ فأرفق به إنّ لومَ العاشق اللّوم

فنراه يطلق التجنيس على ما اتحد في المعنى . أو اختلف من غير تفرقه بينهما ومنه قوله تعالى: (**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)[٢] وقوله(**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ**) [٣]. وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عصية عصت الله . وغفار غفر الله لها)[٤] .

وقال أبو تمام :

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة ∴ أضاء لها من كوكب الحق أفله

وواضح من كلام ابن المعتز وتمثيله أنه ليس صاحب هذا المصطلح والسابق إليه . بل هو نفسه يصرح بأن الأصمعي قد ألف كتابا في الأجناس . وأن الأصمعي مسبوق بالخليل بن أحمد (١٧٥)هـ .

كما يظهر لنا أن التجنيس عنده إما عبث لفظي يعتمد على الاشتقاق . ولا يستند إلى غير التداعي الشكلي . وإما لعب بالمعاني ومهارة في استخدام مفردات اللغة . أو المتقاربة في اللفظ والمختلفة في المعنى[٥] .

ثم أنهى ابن المعتز كلامه في التجنيس – كما فعل في الاستعارة – بذكر المعيب منه من مثل قول منصور بن الفرج :

أكابد منك أليمَ الألم ∴ فقد أنْحل الجسمَ بعد الجَسَمْ

---

[١] - البيت لأبى يعقوب إسحاق بن حسان الخريمى وشطره الثاني " عضبا وأنت لمثلها مُستَامُ "

[٢] - سورة النمل . الآية (٤٤)

[٣] - سورة الروم . الآية (٤٣)

[٤] - عصية : اسم قبيلة

[٥] - ينظر : النقد المنهجي عند العرب للدكتور / محمد مندور ص ٤٧ ط نهضة مصر ١٩٤٨م

ومثل قول أبي تمام :

ذهبت بمذهبه السماحةُ فالتوت ∴ فيه الظنون أَمُذْهبٌ أم مَذْهَبٌ[١]

وواضح أن ابن المعتز هو الذي فتح الأبواب أمام الآمدي[٢] لكي يهاجم أبا تمام في استخداماته للجناسات المعقدة .

٣- المطابقة :[٣]

استمد ابن المعتز هذا الفن من الأصمعي الذي أفاض في الحديث عن المطابقة[٤]

بمعناها الاصطلاحي . وربما كان أول من اقترح اسمها . ونقل ابن المعتز تعريف الخليل لها فقال : " قال الخليل رحمه الله : يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حزو واحد " وكذلك قال أبو سعيد [٥] . فالقائل لصاحبة أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان . قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب "

وقال الله تعالى :﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٦]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار : [إنكم لتكثرون عند الفزع . وتقلون عند الطمع] فالطباق في الآية بين : القصاص وحياة . وفي الحديث بين : تكثرون وتقلون

وأول بيت مثل به ابن المعتز للمطابقة قول زهير :

ليثٌ بعثر يصطادُ الرجالَ إذا ∴ ما اللَيثُ كذَّب عن أقرانه صَدقَا

---

[١] - ينظر الديوان جـ ١ ص ١١٩ . يريد غلبت على مذهبه السماحة ، فكأن فيها مذهبا يظنه بعض الناس .
[٢] - ينظر : الموازنة جـ ١ ص ٢٦٥
[٣] - ينظر : البديع لابن المعتز ص ٢٤ أو ما بعدها
[٤] - ينظر : العمدة جـ٢ ص ٦ ، البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف ص ٣٠
[٥] - يقصد به الأصمعي
[٦] - سورة البقرة . الآية (١٧٩)

وقد ذكر الأصمعي أن هذا أحسن بيت قيل لزهير في ذلك .

ومن المطابقة عند ابن المعتز قول عبد الله بن الزبير الأسدي :

رمى الحدثانُ نسوةَ آل حرب ∴ بمقدار سمدْنَ له سُموداً

فردّ شعورَهُنّ السود بيضاً ∴ وَرَدّ وجوهَهُنّ البيضَ سُوداً

والظاهر من الأمثلة التي ذكرها ابن المعتز أن المراد بالمطابقة هو جمع كلمتين متضادتين والمقابلة بينهما في عبارة أو بيت شعر . كما أن الأمثلة تشتمل على مطابقة الإيجاب ومطابقة السلب . وإن كان لم يفرق بينهما . وجدير بالذكر أن البلاغيين المتأخرين قد قسموا المطابقة إلى ثلاثة أنواع : مطابقة الإيجاب . ومطابقة السلب . ومطابقة السلب إيهام التضاد .

كما نراه ينهى كلامه بذكر المعيب منها كقول الشاعر :

قلت المُقَامَ وناعبٌ قال النّوى ∴ فَعُصِيتُ أمري والمطاعُ غُرَابُ

وعلق عليه بقوله " وهذا من غث الكلام وبارده " دون أن يكشف عن وجه الغثاثة . وإن كنت أرى أن الغثاثة لا ترجع في البيت إلى المطابقة وحدها وإن كانت المطابقة كشفتها في عجز البيت وإنما ترجع الغثاثة في البيت أيضا إلى عدم استساغة الذوق له .

٤- رد أعجاز الكلام على ما تقدمها :[١]

لم يعرفه ابن المعتز ولكنه قسمه إلى ثلاثة أقسام هي :

١- ما يوافق أخر كلمة فيه أخر كلمة في نصفه الأول مثل قول الشاعر :

تُلْقَى إذَا ما الأمر كان عرموما ∴ في جيش رأى لا يُفَلُّ عرمرم[٢]

[١] - ينظر : البديع ص ١٤٠ - ١٤٧

[٢] - العرمرم : الجيش الكثير ، والمراد أن الأمر شديد وفل الجيش هزمه

٢- ما يوافق أخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول كقول الشاعر :

سريعٌ إلى ابن العمّ يشتم عِرْضَه ∴ وليس إلى داعي النَّدىَ بسريع[١]

٣- ما يوافق أخر كلمة من البيت بعض ما فيه . أو بعبارة أخرى بعض ما في حشوه كقول الشاعر :

عميدُ بنى سُلَيْم أقْصَدَتْهُ ∴ سِهَامُ الموت وهى له سهام[٢]

ومنه قوله تعالى : " **﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾**[٣] وقوله : **﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾** [٤] وفى الحديث الشريف : " من مقت نفسه فقد أمنه الله من مقته "

ويختم كلامه في هذا الباب بذكر المعيب منه فيقول : " ومن المعيب منه في الكلام أو الشعر قول ذى نواس البجلى

يُتَيّمنُى برق المباسم بالحمى ∴ ولا بارق إلا الكريم يتيمه[٥]

وهذا قد جمع على غثاثته با بين من بديع الكلام . وهما هذا الباب وباب الاستعارة .

---

[١] - يروى بلطم وجه ، واللطم الضرب على الوجه بباطن الكف ، والبيت الأقيشر الأسدى الكوفى الشاعر الأموى .

[٢] - عميد القوم سيدهم . أقصد السهم أصاب . وأقصد فلانا طعنه فلم يخطئه ، وينسب البيت للأشجع السلمى

[٣] - سورة الإسراء . الآية (٢١)

[٤] - سورة طه . الآية (٦١)

[٥] - تيمه الحب : أضناه شوقاه البرق : التلألؤ ، وبرق السيف تلألأ ، المباسم : جمع مبسم وهو الثغر ، والمعنى أن مبسم الجيب المتلألئ عند افترار يزيدنى هياما ولوعة ، وكل كريم يأسره الجمال .

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن ابن المعتز لم يضع له تعريفا محددا واستهل كلامه بذكر ثلاثة أقسام له . مع أن هذا اللون قد تنبه إليه الجاحظ إذ يقول : " وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك . كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته . ولكل فن صدر يدل على عجزه "[١]

وهذا الفن يعتبر حلبة لفظية ولباقة في طرق الأداء . ثم إن البلاغين المتأخرين قد عدلوا في اسم هذا الفن فمنهم من سماه " رد العجز على الصدر " . ومنهم من سماه "التصوير"[٢] لأن هذه التسمية في نظرهم أدل على المطلوب . واخف على السمع . وتوسعوا في دراسته . وذكروا انه يرد في النثر والشعر على السواء . وما زال يحتل مكانه في علم البديع .

٥- المذهب الكلامي :[٣]

ذكر ابن المعتز أن هذا الباب من البديع مذهب سماه الجاحظ " المذهب الكلامي[٤] وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا . وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا "

ثم يذكر قول أبى الدرداء – وهو من المتقدمين - : " إن أخوف ما أخاف عليكم أن يقال : علمت فماذا عملت " ؟

وقال الفرزدق :

لكل امرئ نفسان نفس كريمة ∴ وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى ∴ إذا قل من أحرارهن شفيعها

---

[١] ـ البيان والتبيين للجاحظ ج١ ص ١١٦
[٢] ـ ينظر : شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٣٣
[٣] ـ ينظر : البديع ص ١٤٧ ـ ١٥١
[٤] ـ وهو : أراد حجة للمطلوب على طريقة أهل المنطق وهى أن تكون المقدمات مسلمة مستلزمة للمطلوب وهو النوع الثامن والعشرون من أنواع البديع عند أبى هلال العسكري ينظر " الصناعتين ٣٩٨ ـ ٣٩٩ " ، والعمدة " ج٢ ص ٧٥ "

وقال عمر لعبد الله بن عباس من ترى أن نوليه حمص ؟ قال : رجلا صحيحا منك صحيحا لك . قال : كن أنت ذلك الرجل . قال : لا ينتفع بي مع سوء ظني في سوء ظنك بي ."

و يتضح من كلام ابن المعتز وما ساقه من أمثلة أنه لم يوضح مفهوم الجاحظ لهذا اللون . كما أنه لم يحاول تعريفه . وكل ما فعله أنه ذكر له بعض الأمثلة والشواهد

وأغلب الظن أن ابن المعتز والجاحظ كانا يريدان به مذهب المتكلمين العقلي في الاحتجاج والجدل والاستدلال والتماس العلل .

ومما يؤكد ذلك قول الجاحظ في معرض المعرفة والاستدلال : (لولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى . كما أنه لولا الاستدلال لما كان لوضع الدلالة معنى ... وللعقل في خلال ذلك مجال . والرأي تقلب . وتنشأ للخواطر أسباب .

ويتهيأ لصواب الرأي أبواب "[١] .

ويذكر الدكتور شوقي ضيف أن ابن المعتز أراد بهذا المذهب " طريقة المتكلمين العقلية فى دقة الاستنباط . وفى التعليل وفى الكشف عن المعاني الخفية[٢].

وقد أنهى ابن المعتز هذا الباب بذكر المعيب منه فقال : ومن أساء في هذا المعنى العلوي الكوفي حيث يقول :

أشكو إلى الله قلبا لو كحلت به ∴ عينيك لاكتحلت من حره بدم

وقال آخر :

نعم منك كانت مثل لا إذ بلوتها ∴ فما لنعم عندي على لاء من فضل[٣]

---

[١] - ينظر : الحيوان للجاحظ حـ ٢ ص ١١٥ ، ١١٦

[٢] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ للدكتور / شوقي ضيف ص ٧١

[٣] - بلوتها : أي : خبرتها : والمعنى أن وعدك بوصال كان مثل وعيدك بهجري فنعم مثل لا عندك ، وليس لنعم عندي إذا صدرت منك على (لا) فضل ولا فيها رجاء

وقد نوّه البلاغيون المتأخرون بهذا الفن وعدوه من جملة فنون البديع . وإن كان كلامهم فيه لم يزد على ما قاله ابن المعتز والجاحظ . فقد عرفه الخطيب القزويني (ت ٧٣٩) هـ بقوله : (أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام[١]) ومثل له بقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢] . وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[٣] . أي : القمر أفل . وربي ليس بأفل . فالقمر ليس بربي

وبعد أن انتهى ابن المعتز من الكلام على الفنون الخمسة الأساسية . تكلم عما سماه محاسن الكلام . وذكر أنها أكثر من أن يحاط بها . وفصل الحديث في ثلاثة عشر منها هي :

١- الالتفات [٤]

عرفه بقوله :" هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار . وعن الإخبار إلى المخاطبة . وما يشبه ذلك . ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى أخر " ثم ذكر له مجموعة من الشواهد من القرآن الكريم . والشعر دون أن يكشف عن نوع الالتفات فيها .

ومن هذه الشواهد قوله تعالى:(﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [٥] وفيه التفت من الخطاب في قوله (كنتم) إلى الغيبة في قوله (بهم) ومنها قول الشاعر :

طرب الحمام بزى الأراك فشاقنى ∴ لا زلت فى غَلَلٍ وأيكٍ ناضر[٦]

---

[١] - ينظر : الإيضاح لتلخيص المفتاح حـ ٤ ص ٥٠ بشرح الشيخ عبد المتعال

[٢] - سورة الأنبياء . الآية (٢٢)

[٣] - سورة الأنعام . الآية (٧٦)

[٤] - ينظر : البديع ص ١٥٢ ، ١٥٣

[٥] - سورة يونس . الآية (٢٣)

[٦] - ذو الأراك : مكان فيه شجر أراك كثير ، الأيك : الشجر الملتف ، الغلل : المكان الخصب الذي يجود بالفلة .

وفيه التفت من الغيبة في قوله طرب الحمام .إلى الخطاب في قوله: فشاقني

ومن الالتفات عنده نوع ينصرف فيه المتكلم عن معنى يكون فيه إلى معنى أخر ومثل له بقول الطائي :

وأنجدتم من بعد اتهام داركم ∴ فيا دمع انجدني على ساكني نجد[١]

فالشاعر يخاطب قوما فيقول لهم : إني أعلم أنكم قد انجدتم داركم في نجد بعد أن كانت في تهامة . ثم التفت في الشطر الثاني إلى معنى أخر يتمثل في مطالبته للدمع بأن يسعفه على ساكني نجد .

وهذا الفن " الالتفات " قد عرض له أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨) . والأصمعي (ت ٢١١)هـ . قبل ابن المعتز . ويقال إن الأصمعي هو الذي أعطاه اسمه الاصطلاحي لأول مرة . إذ روى أنه سأل بعض من كان يتحدث إليهم أتعرف التفاتات جرير ؟ فقال له فما هي ؟ قال :

أتنسى إذ توعدنا سليمى ∴ بعود بشامة سقى البشام[٢]

ألا تراه مقبلا على شعره . ثم التفت إلى البشام فدعا له[٣]

أما البلاغون المتأخرون فقد عرضوا له . وهم في ذلك يستمدون من ابن المعتز.

وإن كان ابن الأثير قد توسع في الكلام عنه بوضوح وفهم لأسراره البلاغية . مبينا حقيقته وأقسامه في كتاب المثل السائر[٤] . كما عدوه من مباحث علم المعاني .

---

[١] - أنجد : دخل في بلاد نجد ، وأتهم : دخل في تهامة .

[٢] - صقل السيف : جلاه ، عارضتا الإنسان : صفحتها خديه ، البشام : شجر طيب يستاك به

[٣] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ للدكتور / شوقي ضيف ص ٣٠

[٤] - ينظر المثل السائر حـ ٢ ص ١٦٧ وما بعدها

٢- **الاعتراض** :[١]

هذا هو المحسن الثاني الذي تكلم عنه ابن المعتز وعرفه بقوله " هو اعتراض كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد ومثل له بقول كثير عزة :

لو أن الباخلين - وأنتِ منهم ∴ رأوك تعلموا منك المطالا

وقول النابغة الجعدى

ألا زعمت بنو سعد بأني ∴ - ألا كذبوا كبير السن فان

وهذا الفن موجود عند الجاحظ [٢]. وذكره المتأخرون ضمن أنواع الإطناب[٣] .

٣- **الرجوع** :[٤]

وعرفه بقوله : وهو أن يقول شيئا ويرجع عنه . كقول بشار

نبئت فاضح أمه يغتابني ∴ عند الأمير عليه أمير[٥]

وقول أبى نواس

يا خير من كان ومن يكون ∴ إلا النبي الطاهر الأمين

إمام عدل ما له قرين ∴ استغفر الله بلى هارون

وهذا اللون تكلم عنه البلاغون المتأخرون بما لا يخرج عما ذكره ابن المعتز . وجعلوه فنًا من فنون البديع المعنوي .وقد عرفه الخطيب القزوينى بقوله: وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة [٦] كقول زهير

---

[١] - ينظر : البديع ص ١٥٤

[٢] - ينظر : البيان والتبيين حـ ١ ص ٢٦٣

[٣] - ينظر : شروح التلخيص حـ ٢ ص ٢٣٧

[٤] - ينظر : البديع ص ١٥٤

[٥] - البيت من أبيات هجا بها بشار رجلا هجاه عند الأمير محمد بن سليمان .

[٦] - ينظر : الإيضاح لتلخيص المفتاح . حـ ٤ ص ٢٨

قف بالديار التي لم يعفها القدم ∴ بلى . وغيرها الأرواح والديم[١]

٤- حسن الخروج .[٢]

قال ابن المعتز :" ومنها حسن الخروج من معنى إلى معنى " ونلاحظ أنه لم يعرفه . ولكنه مثل له بأمثلة كثيرة منها الطائي :

لا والذي هو عالم أن النوى ∴ صبر وأن أبا الحسين كريم

وقول السموءل بن عاديا :

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة ∴ إذا ما رأته عامر و سلول

وهذا الفن سماه ثعلب : " حسن الخروج من النسيب ووصف الابل إلى المديح "[٣]

وسماه أبو هلال العسكري : الخروج من النسيب إلى المديح وغيره . وتوسع في الكلام فيه إذ أفرد له الفصل الثالث من الباب العاشر من كتابه.[٤]

٥- تأكيد المدح بما يشبه الذم :[٥]

اكتفى ابن المعتز بالتمثيل له بقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ∴ بهن فلول من قراع الكتائب

وقول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقُه غير أنَّه ∴ جوادٌ فما يُبْقِي من المال باقيا

وقد ذكر الخطيب له ثلاثة أضرب[٦]. الضرب الأول أفضلها " وهو أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير

---

[١] - الأرواح : جمع ريح ، الديم : المطر .
[٢] - ينظر : البديع . ص ١٥٥
[٣] - ينظر : قواعد الشعر . ص ٦٠
[٤] - ينظر : الصناعتين ص ٤٥٢
[٥] - ينظر : البديع ص ١٥٧
[٦] - ينظر : الإيضاح لتلخيص المفتاح جـ ٤ ص ٥٨ ـ ٦٠

دخولها فيها" ومثل له بقول النابغة الذبياني السابق .

والثاني : أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ومثل له بقول النابغة الجعدي السابق .

الضرب الثالث : وهو أن يأتي الاستثناء مفرّغا[١] كقوله تعالى : ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا﴾[٢] . أي وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله .

وهذا اللون جعله أبو هلال العسكري ضربا من أضرب نوع من البديع يسميه الاستثناء[٣] وكذلك فعل ابن رشيق.[٤]

٦- تجاهل العارف :[٥]

اكتفى أيضا بالتمثيل لهذا اللون دون أن يعرفه . من ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

وما أدرى وسوف إخالُ أدرى ∴ أقوم آل حصن أم نساء

وقول ابن أمية :

فديتك لم تشبع ولم تَرْوَ من هجري ∴ بلا ثقة لكن أظنُّ ولا أدرى

ويلاحظ من الأمثلة التي أوردها ابن المعتز على هذا اللون . أنه ضرب من فرج (مزج) الشك باليقين . يأتي به الشاعر أو الكاتب ليزيد الكلام تأكيدا[٦] .

٧- الهزل يراد به الجد :[١]

---

[١] ـ وذلك بأن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح محمول لفعل فيه معنى الذم ، فيتفرغ للعمل فيه ويكون الاستثناء مفرغا.

[٢] ـ سورة الأعراف . الآية (١٢٦)

[٣] ـ ينظر : الصناعتين ص ٤٠٨

[٤] ـ ينظر العمدة لابن رشيق حـ ٢ ص ٤٨

[٥] ـ ينظر : البديع ص ٥٣

[٦] ـ هذا اللون يسميه أبو هلال تجاهل العارف ومزج الشك باليقين . ويعرفه بأنه " إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيد . الصناعتين ص ٣٨٧

ومثل له بقول أبى العتاهية :

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا ∴ من بخل لعل الله يشفيقا

ما سلم نفسك إلا من يتاركها ∴ وما عدوك إلا من يرجيكا

وقول أبى نواس :

إذا ما تميمي أتاك مفاخراً ∴ فقل : عد عن ذا . كيف أكلك للضب

ولم يكن ابن المعتز أول من يتكلم عن هذا اللون فقد سبقه إليه الجاحظ[٢] . ومثل له بأمثلة منها قول امرئ القيس :

وقد علمت سلمى وإن كان بعلها ∴ بأن الفتى يهذى وليس بفعال .

٨ - حسن التضمين:[٣]

لم يعرفه ابن المعتز كسابقيه . وإنما اكتفى بالتمثيل له فقط . من ذلك قول الأخيطل :

و لقد سما للخرمى فلم يقل ∴ بعد الوغى : " لكن تضايق مقدمي "

وهذا اللون قد تنبه إليه الجاحظ . فأشار إلى اقتباس الخطباء لآي الذكر الحكيم في كلامهم . وأنهم قد يتمثلون بالشعر في خطبهم . وأيضا يتمثل به الكتاب في رسائلهم إلا أن تكون إلى الخلفاء[٤] . ويلاحظ أن الجاحظ يسميه الاقتباس.

---

[١] - ينظر : البديع ص ١٥٨

[٢] - ينظر : البيان والتنين حـ ١ ص ٩٣ ، ٩٤

[٣] - الخرمى : هو بابك الخرمى الذي استولى على جبال طبرستان في عصر المأمون عشرين عاما وعظم أمره وهزم عسكر المعتصم مرارا حتى انتدب له الأفشين القائد التركي فظفر به وأسره وأحضره إلى المعتصم فقتله سنة (٢٢٣)

[٤] - ينظر : البيان والتبيين حـ ١ ص ١١٨ ، والبلاغة تطور وتاريخ للدكتور / شوقي ضيف ص ٥٣

وقد عرفوه بأنه:[١] أن يُضمِّن الشاعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء كالبيت الذي ساقه ابن المعتز . فقوله : " لكن تضايق مقدمي " تضمين من قول عنترة :

إذ يتقون بي الأسنَّة لم أضِمْ ∴ عنها تضايق مَقْدمي[٢]

وقد ورد في صحيفة البلاغة الهندية إشارة إلى أن التضمين معيب . وكرر الجاحظ ذلك في كلامه . وهو يريد أن يكون الفصل الأول من الكلام أو البيت من الشعر مفتقرا إلى ما يليه . بحيث لا يتم معناه إلا به . وهو بهذا من عيوب الكلام لا من محاسنه .[٣]

وقد تكلم عنه أبو هلال العسكري تحت عنوان حسن الأخذ وقبيحه[٤] وفصل الحديث عنه وساق لكل نوع مجموعة من الأمثلة شارحا لها ومبينا الأخذ فيها ووجه حسنه أو قبيحه .

كما تكلم عنه صاحب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " وسماه " باب التضمين والإجازة "[٥] واستطرد في الحديث عنه وأورد له مجموعة من الأمثلة.

هذا . وقد أفاض شراح التلخيص[٦] في الكلام عن حسن التضمين . فعرفوه . وقسموه إلى استغاثة . وإبداع . وساقوا لهذه الأقسام عدة أمثلة .

---

[١] - ينظر : الإيضاح لتلخيص المفتاح ج_ ١ ص ١٣٤ - ١٤٠

[٢] - ينظر : ديوان عنترة ص (٢١٥) نشر المكتب الإسلامي بيروت

[٣] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٧٣

[٤] - ينظر : الصناعتين ص ٢١٧ ، ٢٤٩

[٥] ينظر : العمدة في محاسن الشعر حـ ٢ ص ٨٤ - ٩٠

[٦] - شروح التليخص حـ ٤ ص ٥١٤ - ٥٢٠

٩- التعريض والكناية :[١]

مثل ابن المعتز لهذا اللون بأمثلة كثيرة من النثر والنظم . منها : قول علي رضي الله عنه لعقيل[٢] ومعه كبش له : أحد الثلاثة أحمق .... فقال عقيل . أما أنا وكبشي فعاقلان " ومنه قول بشار :

وإذا ما التقى ابن أعيا وبكر ∴ زاد في ذاشبر وفي ذاك شبر

أراد أنهما يتبادلان . وأن كلا منهما يحنّ إلى صاحبه حنين الحليلة لبعلها.

ويلاحظ هنا أن ابن المعتز لم يعرّف الكناية إلا أنه فهم معناها وهو أن يكنى عن الشيء ويعرِّض به ولا يصرح . كما أنه لم يتوسع في الكلام عنها . على الرغم من أنها وردت كثيرا في كتاب الجاحظ[٣] وعرض لها وتوسع في الكلام عنها المبرد (ت ٢٨٥) هـ . وثعلب (٢٩١) هـ وهما من أشهر أساتذته .

فقد جعلها المبرد على ثلاثة أوجه : فهي : إما للتعمية والتغطية . وإما للرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدلّ على معناه من غيره - وهذا النوع في نظره أحسن أنواع الكناية - وإما للتفخيم والتعظيم[٤] . أما ثعلب : فقد سماها " لطافة المعنى " وعرفها بقوله : " هي الدلالة بالتعريض عن التصريح " ومثل لها[٥] .

كما يلاحظ أن ابن المعتز لم يفرق بين التعريض والكناية ولا بين أمثلته التي أوردها لكل منهما مما يدلنا على أنهما مترادفان عنده . على حين أن

[١] - ينظر : البديع ص ١٦٠ _ ١٦١

[٢] - عقيل بن أبي طالب نسابة فصيح اللسان صاحبي ت (٦٠) هـ

[٣] - ينظر : البيان والتبيين حـ ١ ص ١١٧ ، ٢٦٣

[٤] - ينظر : الكامل للمبرد : حـ ١ ص ٤١

[٥] - ينظر : قواعد الشعر لثعلب ص ٤٩

البلاغين المتأخرين فرقوا بين الكناية والتعريض[١] وجعلوها أحد مباحث علم البيان . وقسموا الكناية إلى : كناية عن صفة وكناية عن موصوف وكناية عن نسبة[٢] .

١٠- الإفراط في الصفة :[٣]

عرض ابن المعتز لهذا اللون ومثل له بعدة أمثلة منها قول إبراهيم ابن العباس الصولى

يا أخا لم أر في النـاس خـلاً ∴ مثله أسرعَ هجراً ووصـلا

كنت لي في صدر يومي صديقاً ∴ فعلى عهدك أمسيتَ أم لا ؟

ومنه قول الشاعر يهجر رجلا :

تبكى السموات إذا ما دعـا ∴ وتستعيذ الأرض من سجدته

ويلاحظ أن ابن المعتز قد اكتفى بالتمثيل لهذا اللون دون تعريفه وتحديد معناه . ولكن يفهم من الأمثلة التي أوردها أن الإفراط في الصفة يأتي على ضربين :

ضرب فيه ملاحة وقبول كقول الصولى السابق . وضرب أخر فيه إسراف وخروج بالصفة عن حد القبول . كالمثال الثاني .

وقد أشار الأصمعي في صدر كلامه للتوزى[٤] إلى هذا اللون . وسماه "ثعلب " الإفراط في الإغراق.[٥]

---

[١] - قال الدسوقي : واعلم أن التعريض ليس من مفهوم الحقيقة فقط، ولا من الكناية ، لأن الحقيقة هي اللفظ المستعمل في معناه الأصلي ، والمجاز هو المستعمل في لازم معناه فقط ، والكناية هو المستعمل في اللازم مع جواز إرادة الأصل ، والتعريف أن يفهم من اللفظ معنى بالسباق والقرائن من غير قصد استعمال اللفظ فيه أصلا ، ولذلك يكون لفظ التعريض تارة حقيقة وتارة يكون مجازا وتارة يكون كناية . ينظر حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص حـ ٣ ص ٢٦٨

[٢] - ينظر : شروح التلخيص حـ ٣ ص ٢٤٧

[٣] - ينظر : البديع ص ١٦٢ - ١٦٦

[٤] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص٣١ وينظر : الصناعتين ص٣٨٠

[٥] - ينظر : قواعد الشعر لثعلب ص ٤٩

وهو عند أبى هلال العسكري باب الغلو[١]، وعرفه : بأنه تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها . وكذلك فعل ابن رشيق[٢]. ثم إن أبا هلال العسكري يذكر المبالغة كنوع آخر من أنواع البديع غير الغلو[٣].

١١- حسن التشبيه :[٤]

مثل له ابن المعتز بأمثلة وشواهد كثيرة منها : قول امرئ القيس :

ومسرودة السك موضونة ∴ تضاءل في الطي كالمبـــرد

تفيض على المرء أردانها ∴ كفيض الأتي على الجد جد[٥]

فقد شبه الدرع بالأتي – وهو السيل – في بياضها وسبوغها . لأنها تعم كما يعم الأتي الجد جد – وهو الصخور الصلبة – إذا تفجر فيه .

ومن الأمثلة التي أوردها أيضا من شعر امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ∴ لدى وكرها العناب والحشفُ البالي

فشبه الرطب من قلوب الطير بالعناب . واليابس منها بالحشف البـالي . وهو رديء التمر

ومن عجائب التشبيه عنده قول عدى بن الرقاع :

تزجى أغن كأن إبرة روقه ∴ قلم أصاب من الدواة مدادها

ومن التشبيه الحسن عنده قول البحتري :

يخفى الزجاجة لونها فكأنها ∴ في الكف قائمة بـــغـيـر إناء

---

[١] - ينظر – الصناعتين ص ٣٩٤

[٢] - ينظر : العمدة لابن رشيق جـ٢ ص ٥٧

[٣] - ينظر – الصناعتين ص ٣٥٦

[٤] - ينظر : البديع ص ١٦٦

[٥] - السرد : هو الثقب ، والمسرودة المثقوبة ، والسك : الدرع الضيقة الحلق . والموضونة : المنسوجة الطي : ضد النشر ، والمبرد آلة الحداد المعروفة . الأردان : جمع ردن وهو أصل الكم وصف الدرع في حال طيها بالبيت الأول ، ثم وصفها في حال نشرها بالثاني ، ومعنى البيت الأول : أنها إذا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالمبرد .

وعلى الرغم من أن ابن المعتز مسبوق بالجاحظ الذي أكثر من ذكر التشبيه بمعناه الاصطلاحي. والمبرد الذي فصل الحديث فيه وجعله على أربعة أنواع : تشبيه مفرط . وتشبيه مصيب . وتشبيه مقارب . وتشبيه بعيد[١] . نجد ابن المعتز يكتفي بإيراد أمثلة كثيرة لنوعين من التشبيه. في رأيه تشبيه عجيب . وتشبيه حسن . هذا فضلا عن أنه جعل التشبيه أحد فنون البديع .

ومن المعروف أن التشبيه مبحث هام من مباحث علم البيان . وقد توسع البلاغيون والمتأخرون في الكلام عنه وقسموه باعتبار الأداة إلى قسمين : تشبيه مرسل . وتشبيه مؤكد . وباعتبار وجه الشبه إلى ثلاثة تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل . ومفصل ومجمل . وقريب وبعيد . كما ذكروا أنواعا أخرى من التشبيه
كالتشبيه المقلوب . والتشبيه الضمني . والتشبيه البليغ . وبينوا أغراضه . ومتى يكون حسنا . ومتى يكون رديئا[٢] .

١٢- إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له[٣] .

هذا اللون مثل له ابن المعتز بأمثلة كثيرة منها قول الشاعر :

يقولون في البستان للعين لذة ∴ وفي الخمر والماء الذي غير آسن

فإن شئت أن تلقى المحاسن كلها ∴ ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

فالشاعر قد التزم السين قبل النون

وقول آخر :

عصاني قومي والرشاد الذي به ∴ أمرت ومن يعصى المجرب يندم

---

[١] ينظر : الحيوان للجاحظ : حـ ٧ ص ٦٢٩ . وينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٥٥

[٢] - ينظر : شروح التلخيص حـ ٣ ص ٢٩١ وما بعدها

[٣] - ينظر : البديع . ص ١٧٥

فصبرا بنى بكر على الموت إنني ∴ أرى عارضا ينهل بالموت والدم[١]

فالشاعر قد التزم الدال قبل الميم

ويلاحظ أن ابن المعتز قد أراد بهذا المحسن ما اصطلحوا عليه من جاءوا بعده باسم (لزوم ما لا يلزم) وهو ألا يكتفي الشاعر في قصيدته أو مقطوعته برويّ واحد بل يضيف إليه التزام الحرف السابق له كما هو واضح من الأمثلة.

وكأنما ابن المعتز هو الذي رشح لكي ينظم الشعراء على هذا المحسن من محسنات البديع بعض أشعارهم . حتى إذا كان أبو العلاء المعري نظم منه ديوانه الضخم الملقب باسم (اللزوميات)[٢]

وقد توسع البلاغيون المتأخرون في الكلام عن لزوم ما لا يلزم ولقّبوه ألقاباً مختلفة منها : الالتزام . والإعنات . والتضييق . والتشديد . والتضمين .وسمي بالتضمين لتضمين القافية ما ليس يلزمها .... وأسماؤه كلها ناطقة بما يؤخذ به صاحبه نفسه من عسر القيود . وثقل المئونة . وتحجير ما وسعه الله عليه . وتكلف ما لو تجنبه لم تلحقه تبعة . ولا أدركه عيب . ولا وقع في قصور أو تقصير[٣].

١٣ - حسن الإبتداءات[٤] :

هذا هو المحسن الثالث عشر والأخير من المحسنات البديعية التي ذكرها ابن المعتز في كتابه . البديع ومثل له بقول النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب ∴ وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وقول بعض المحدثين :

كأنّ اللواتي قلن لي أتسير ∴ غصون رمال فوقهن بدور

---

[١] - عارضي الإنسان : صفحة خده ، ينهل : يتساقط في انصباب وكثيرة .

[٢] - الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٩٧ للدكتور شوقي ضيف

[٣] - البلاغة الفنية . د/ علي الجندي ص ١

[٤] - ينظر : البديع ص ١٧٦

وقول أبي تمام :

أجل أيها الربع الذي خفّ أهله ∴ لقد أدركت فيك النّوى ما تحاوله

وهذا اللون قد أكثر البلاغيون من الحديث عنه . فتكلم عنه صاحب الصناعتين ونقل عن بعض الكتاب قولهم : (أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان) وقالوا : ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره . ومفتتح أقواله مما يتتطر منه . ويستجفي من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف الخطوب الحادثة[١].

وتكلم عنه ابن رشيق تحت باب : المبدأ والخروج . والنهاية[٢].

وتكلم عنه الخطيب وجعله ضمن مواضع التأنق في الكلام[٣].

وبهذا اللون أكون قد انتهيت من الكلام عن ألوان البديع عند ابن المعتز.

---

[١] - ينظر : الصناعتين ص ٤٨٩

[٢] - ينظر : العمدة جـ ١ ص ٢١٧

[٣] - ينظر : الإيضاح لتلخيص المفتاح جـ ٤ ص ١٤٨

الفصل الثاني

ألوان البديع عند قدامة بن جعفر

ويحتوي على مبحثين

المبحث الأول : التعريف بقدامة بن جعفر وكتابه نقد الشعر

المبحث الثاني : ألوان البديع عند قدامة بن جعفر

المبحث الأول

التعريف بقدامة بن جعفر وكتابه نقد الشعر

أولاً : التعريف بقدامة بن جعفر :

١- اسمه ونسبه[١] :

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد. المعروف بالكاتب البغدادي . وكان مثل أبيه جعفر من كتَّاب الديوان العباس ببغداد . وقد كان في أول أمره نصرانيا ثم دخل الإسلام على يد الخليفة المكتفى.

٢- مولده ونشأته[٢]:

ولد قدامة في البصرة نحو عام (٢٦٠ هـ)أو عام (٢٧٦ هـ) في خلافة المعتمد العباس . عاش في خلافة المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر العباس وأدرك مطلع حكم أل بويه . وتولى مجلس الزمام لآل الفرات.

٣- ثقافته ومنزلته العلمية[٣]:

اشتهر قدامة بن جعفر بين معاصريه بثقافته العميقة بالفلسفة والمنطق . يقول عنه ابن النديم (كان قدامة أحد البلغاء الفصحاء . والفلاسفة الفضلاء . وممن يشار إليه في علم المنطق [٤]) ويقول ياقوت (... فقرأ واجتهد وبرع في صناعتى البلاغة والحساب . وقرأ صدراً صالحا من المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الآن . واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر وصنف في ذلك كتبا)[٥]

---

[١] - ينظر : ترجمته في معجم الأدباء لياقوت جـ ١٢ ص ١٧ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٥

[٢] - ينظر : معجم الأدباء جـ ٦ ص ٢٠٤

[٣] - ينظر : الفهرست ص ١٣٠

[٤] - ينظر : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٠٧

[٥] - ينظر : معجم الأدباء جـ ٦ ص ٣٠٤

أدرك زمن ثعلب . والمبرد . وأبي سعيد السكري . وابن قتيبة وطبقتهم . وبرع في صناعتي البلاغة والحساب.
والحق أن ما وصل إلينا من مصنفاته يدل على تأثره الشديد بالثقافات الأربع التي كانت تقوم عليها يومئذ الثقافة الإسلامية : العربية والفارسية واليونانية والهندية.

٤- آثاره العلمية[١]:

خلّف قدامة آثارا كبيرة أحصى بعضها ابن النديم وياقوت . من أبرزها : كتاب الخراج وكتاب صرف الهم . وكتاب السياسة . وكتاب جلاء الحزن . وكتاب صناعة الجدل وكتاب نزهة القلوب وزاد المسافر . ومن أشهر ما خلفه كتاب نقد الشعر الذي دل على بصر الشاعر بالشعر العربي . وينبي عن حسن تذوقه.

٥- وفاته[٢]:

توفي رحمه الله سنة (٣٣٧هـ) من الهجرة أيام المطيع لله.

ثانيا التعريف بكتابه (نقد الشعر)

يعد كتاب نقد الشعر من أهم الكتب التي خلفها قدامة بن جعفر وأشهرها . حيث يدل على بصره بالشعر العربي وينبئ عن حسن تذوقه . فهو كتاب جمع بين البلاغة والشعر والنقد . يقول عنه صاحب الصبغ البديعي (إن قارئ ذلك الكتاب يحس من أوله إلى آخرة بأنه أمام عقلية جديدة . وطريقة فذة لا عهد له بمثلها من قبل قدامة . فهو يجمع بين غزارة المادة وعمق التفكير . حسن الترتيب والتفصيل وسهولة العبارة وإيجاز ها . والإطافة بالفلسفة ولا سيما المنطق . وإذا كان ابن المعتز أول

---

[١] - ينظر : الفهرست ص ١٨٨ ، ومعجم الأدباء جـ ١٧ ص ١٢- ١٤

[٢] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٧٩

من ألف في البديع فقدامة أول من غمس علم البديع في بحار الفلسفة واقتفاه واستعان بطريقته جمهور المؤلفين بعده[١]) .

الدافع إلى تاليفه :

ذكر قدامة في مقدمة كتابه أن ما دفعه إلى الكتابة في نقد الشعر هو أنه لم يجد أحداً وضع في نقد الشعر . وتخليص جيده من رديئه كتابا .. وأنه رأى الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم . فقليلا ما يصيبون .. وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه . رأى أن يتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع[٢] .

ويعلق الدكتور شوقي ضيف على قول قدامة فيقول :(وهو بذلك كأنه يريد أن يلغى كل ما ألفّ قبله في تمييز جيد الشعر من رديئه أو هو على الأقل لا يعترف بأن أحدا كتب شيئا يغنى بعض الغناء في هذا الموضوع. فلا ثعلب في (قواعد الشعر)ولا ابن المعتز في (البديع) ولا غيرهما من سابقيهما ومعاصريهما قد كتب فيه شيئا يذكر له بالثناء . بل إنه ليدعى عليهم جميعا الخبط والتخبط . وكأنه يريد أن يقول : إنهم فقدوا الدليل الهادي من كتابات أرسطو . ولذلك قصّروا بل تخبطوا وضلوا الطريق . ويظهر أن كتاب ابن المعتز كان يؤذيه بأكثر مما آذاه كتاب ثعلب...ولعل ذلك ما جعل قدامة يتحاشى التعرض لجمهور ما أتى به في كتابه من فنون بديع ومن ضروب محسنات . وحاول أن يبدّل ويعدل في بعض مصطلحاته التي اقترحها . وأن يأتي بمصطلحات جديدة لضروب من محاسن القول لم يقف عليها ابن المعتز)[٣]

---

[١] ـ ينظر : الصبغ البديعي ص ١٤٤

[٢] ـ ينظر : نقد الشعر ص ٦١ ، ٦٢ ط ت د/ خفاجة.

[٣] ـ ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص٧٩

منزلته بين كتب البلاغة والنقد:

يحدثنا صاحب الصبغ البديعي عن منزلة هذا الكتاب فيقول : (ولهذا الكتاب منزلة في النقد بعيدة المدى جليلة النفع إذا لم تشهد العربية قبله كتاباً في نقد الشعر يضاهيه في دقته وعمق تفكيره . وإحكامه وحسن تنسيقه[١])

لقد كان لكتاب نقد الشعر أثر واضح في النقد الأدبي دفعه إلى الأمام دفعات قوية . وحركة علمية وجهت النقاد وجهة جديدة استمر صداها على طول العصور لأنه استحدث مذهبا جديداً في النقد هو المذهب العلمي.

لقد زاعت شهرة هذا الكتاب واهتم به كثير من الأدباء حتى أن الآمدي المتوفى سنة (٣٧١ هـ) ألف كتابا في (تبيين غلط قدامة في نقد الشعر) أهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين وقرأه عليه سنة (٣٦٥هـ) ولابن رشيق المتوفى سنة (٤٦٣هـ) كتاب، (تزيف نقد قدامة) ذكره ابن أبي الأصبع في كتابه (تحرير التحبير)[٢]

منهجه :

المتصفح لكتاب نقد الشعر يجد أنه يغلب عليه المنهج العلمي الذي يعتمد على التعريف والتحديد . وحصر المسائل . وإحصاء الأحوال واستقصاء الأجناس . يطالعك ذلك من أول الكتاب . انظر كيف يعرف الشعر . ويحلل التعريف . فستجد ذلك واضحا . ويقول عن منهجه في نقد الشعر : إنه يذكر صفات الشعر التي تبلغه غاية الجودة . فإن وجد

---

[١] - ينظر : الصبغ البديعي د / أحمد موسى ص ١٤٤
[٢] - ينظر : الموازنة ص ٨٨

بضد هذا الحال كان شعراً في غاية الرداءة . و إلا فهو بين طرفي (بين طرفي) الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أي الطرفين أو توسط بينهما[١] .
ويقرر أن المعاني كلها معرضة للشاعر . وله أن يتكلم منها فيما أحب . إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة . والشعر منها كالصورة . والمهم بلوغ الجودة لا كتابته في معان رديئة.
ويقرر أن الشعر مؤلف من أربعة عناصر : اللفظ . والمعنى . والوزن . والقافية . ويتألف من هذه العناصر أربعة عناصر أخرى هي : -

١- ائتلاف اللفظ مع المعنى. ٢- ائتلاف اللفظ مع الوزن.
٣- ائتلاف المعنى مع الوزن . ٤- ائتلاف المعنى مع القافية[٢] .

ثم يذكر نعوت هذه الأشياء مفردة . أو مركبة . ثم أحصى عيوب المفردات وعيوب المركبات.
وقدامة يحكم عقله المنطقي في النقد . فيجعل المدح الجيد بذكر جميع الخصال الإنسانية ويعيب المدح إذا كان بشرف الآباء لأنه ليس مدحاً في فضائل . ويجمعها الهجاء بنفي أن يكون الرجل شريف الحسب معيبا . ويقرر أنه ضد المدح . ويجعل المرثية هي المدح مع جعل الأسلوب ماضيا[٣] .

ويظهر من كتابه انه اطلع على الأدب العربي . وعلى آراء الفلاسفة في نقد الشعر واستفاد من الاثنين .ولكن تأثره بعقله المنطقي أكثر من تأثره بمناهج النقاد العرب كالأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم من الذين حكموا الذوق الأدبي وحده والنهج العربي في الأسلوب دون سواه[٤] .

---

[١] - ينظر : نقد الشعر ص ٦٥ ، وجهود قدامة البلاغية في كتاب نقد الشعر د/ هاشم محمد هاشم بحث منشور بحولية كلية الدراسات بسوهاج للبنات العدد الثالث سنة ١٩٨٧م
[٢] - ينظر : نقد الشعر ص ٥٣ ، ٥٤
[٣] ينظر : نقد الشعر ص ٥٦
[٤] - ينظر : نقد الشعر ص ٥٧

ولمنهج قدامة أثره الواضح في تدوين البلاغة العربية . وأصول النقد الأدبي . فقد تأثر به بعض النقاد العرب . وساروا على نهجه كأبي هلال العسكري في كتابه (الصناعتين) وابن رشيق في كتابه (العمدة) . وابن سنان الخفاجي في كتابه (سر الفصاحة) كما تأثر علماء البلاغة تأثرا شديداً بقدامة وآرائه في (نقد الشعر) ومنهم عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وسواهم.

ويمتاز قدامة في كتابه بالمنهجية العقلية والعلمية . وبتخير الشواهد والمثل[١].

وأخيراً فإن كتاب (نقد الشعر) لا غنى لدارسي البلاغة والنقد عنه . وإليه يرجع الفضل إلى أنه أول من لفت إلى تقسيم ألوان البديع إلى لفظي وإلى معنوي[٢].

---

[١] - ينظر : نقد الشعر ص ٥٨ ت د / خفاجة.
[٢] - ينظر الصبغ البديعي ص ١٤٦

المبحث الثاني

ألوان البديع عند قدامة بن جعفر

تناول قدامة كثيراً من المسائل البلاغية في كتابه (نقد الشعر) من خلال كلامه عن جيد الشعر ورديئه. ويعد ثاني اثنين وضعا علم البديع. حيث تناول عشرين لونا من البديع اتفق مع ابن المعتز في سبعة . وانفرد بثلاثة عشر لونا.

وعلى ضوء الاستقراء والتتبع نمضى في تحسس ألوان البديع التي أشتمل كتاب نقد الشعر عليها وهي كالتالي:

(١) الترصيع:

جعله قدامة من نعت الوزن وعرفه بقوله: " هو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت علي سجع أو شبيه به. أو من جنس واحد في التعريف"[١] . ثم ساق أمثلة لذلك شارحاً لبعضها من ذلك قول امرئ القيس .

مخشٌ مجشٌ مقبل مدبر معا ∴ كتيسِ ظباء الحّلب العدوَان [٢]

فأتي باللفظتين الأولتين مسجوعتين في تصريف واحد. وبالتاليتين لها شبيهتين بهما في التصريف. وربما كان السجع ليس في لفظة لفظة ولكن في لفظتين لفظتين بالوزن نفسه. ومنه قول أبي صخر الهذلي :

سود ذوائبها بيض ترائبها ∴ مَحْضٌ ضرائبها صيغت علي الكرم [٣]

---

[١] - ينظر نقد الشعر ص ٣٨.

[٢] - ينظر ديوان امرئ القيس. المخشي : الجرئ الماضي ، مجش : غليظ الصوت، . التيس :فحل الظباء ، الحَلب : نبتة تأكلها الوحوش تضمر عليها بطونها ، العدوان: الشديد الجرئ.

[٣] - الغدائر: الشعر الطويل ، يلج محاجرها: نقية مشرقة، والمحاجر : ما بدا من البرقع.

ثم خلص من ذلك إلي أن الترصيع إنما يحسن إذا اتفق في البيت موضع يليق به. فإنه ليس في كل موضع يحسن ولا علي كل حال يصلح. ولا هو أيضا إذا اتصل في الأبيات كلها بمحمود. فإن ذلك إذا كان دل علي تعمد وأبان عن تكلف. ثم ساق لذلك اللون أمثلة من الحديث.[١]

ولئن أربي قدامة علي ابن المعتز بهذا اللون. فإن الجاحظ سبق إلي هذا. وإن سماه السجع والازدواج[٢] . وسماه قدامة الترصيع.

(٢) التشبيه :

عرفه بقوله: "التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها" . ثم أشار إلي أن أحسن التشبيهات ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيهما حتى يدني بهما إلي حال الاتحاد[٣]. ثم ساق أمثلة للتشبيهات الحسان منها قول أوس بن حجر يشبه ارتفاع أصواتهم في الحرب تارة وهمودها وانقطاعها تارة بصوت التي تجاهد أمر الولادة:

لها صرخةٌ ثمَّ إسكانَةٌ ... كما طرَّقت بِنِفَاسٍ بِكْرِ [٤]

ثم شرحه بقوله : ولم يرد المشبه في هذا الموضع نفس الصوت. وإنما أراد حاله في آزمان مقاطع الصرخات. وإذا نظر في ذلك وجد الذي وقف بين الصوتين واحدا وهو مجاهدة المشقة والاستعانة علي الألم بالتبديد في الصرخة.

ثم أشار إلي أن التشبيه علي أضرب: فمنها أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة. ومثل له بقول امرئ القيس :

---

[١] - ينظر نقد الشعر ص ٨٤ ، ٨٥.
[٢] - البيان والتبين جـ١ ص ٢٨٠ ، ٢٩٧ ، ٤٠٨ ، جـ٢ / ١١٦.
[٣] - ينظر نقد الشعر ص ١٢٤.
[٤] - طرقت : من التطريق وهو خروج بعض الولد عند الوضع.

له أيطلا ظبي وساقا نعامة ∴ وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تتفل[١]

فأتي بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء.

ومنه: أن يشبه شيء بأشياء في بيت أو لفظ قصير . ومثل له بقول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه ∴ أساريع ظبي أو مساويكُ إسحل[٢]

ومنها: أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الأحوال ومثل له أيضا بقول امرئ القيس يصف الدرع في حال طيها :

ومشدودةِ السكِّ موضونةٍ ∴ تضاءل في الطيِّ كالمبردِ[٣]

ثم اعتبر من التصرف في التشبيه تجديد الشاعر وخروجه على مألوف الشعراء في تشبيهاتهم كقول سلامة بن جندل :

كأن نعاماً باض فوق رؤوسهم ∴ بنهي القذاف أو بنهي محقق

وقد سبقه إلي مصطلح التشبيه ابن المعتز ومن تقدمه كالجاحظ وثعلب. والفضل لقدامة في هذا التحديد والتنويع. سوي أن ثعلبا في كتاب قواعد الشعر. قد شرط في التشبيه ألا يخرج إلي التعدي ولا إلى التقصير. وأخبر أن الرواة يستحسنون قول امرئ القيس في وصف العقاب :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ∴ لدي وكرها العناب والحشف البالي

لأنه شبه شيئين بشيئين في بيت واحد. وما عدا ذلك فقدامة سابق إليه غير منازع.[٤]

---

[١] - أيطلا ظبي : حاصرتا ظبي ، الارتخاء : الجري الذي فيه سهوله ، السرحان : الذئب، تتفل : ولد الذئب.

[٢] - برخص : بأصابع رخصة لينة ، شثن : خشنة ، أساريع : صغار ، ظبي : اسم رملة ، الاسحل : شجر يستاك به.

[٣] - مشدودة : متداخل بعضها في بعض، السك: الدرع ،تضاءل في الطي: يعني لنا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالمبرد.

[٤] - ينظر الصبغ البديعي ص ١٤٧ .

(٣) صحة التقسيم:

جعلها من نعت ما يعم جميع المعاني الشعرية ثم عرفها بقوله : " وهي أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساما فيستوفيها ولا يغادر قسما منها[١] . ثم أتبع التعريف بعدة أمثلة شافعا لها بتعليقه من ذلك قول نصيب يريد أن يأتي بأقسام جواب المجيب عن الاستخبار.

فقال فريق القوم لا وفريقهم ∴ نعم وفريقٌ قال ويحكَ لا أدري

فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام.

ولئن أربى قدامة على ابن المعتز بهذا اللون. فإن الجاحظ قد نوّه بالتقسيم والتفصيل[٢] . وعلل به استحسان عمر بن الخطاب لبعض شعر زهير. وعبدة بن الطيب.

لذا يري صاحب الصبغ البديعي أن قدامة اقتبس من الجاحظ التسمية[٣]

وإن كان الدكتور شوقي ضيف يرجح أن قدامة إنما جلب اصطلاحه من حديث أرسطو في "الخطابة" عن صور تأليف الكلام بذكر الأقسام ودقة عرضها.[٤]

(٤) صحة المقابلات :

جعلها من أنواع المعاني وأجناسها ثم عرفها بقوله : " وهي أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة. فيأتي في الموافق بما يوافق. وفي المخالف بما يخالف على الصحة. أو يشرط شروطا. ويعدد وأحوالا في أحد المعنيين. فيجب أن يأتي فيما يوافقه

---

[١] - ينظر نقد الشعر ص ١٣٩ .
[٢] - ينظر البيان والتبيين جـ١ ص٢٤٠.
[٣] - ينظر الصبغ البديعي ص١٤٨.
[٤] - ينظر البلاغة تطور وتاريخ ص٨٧.

بمثل الذي شرطه وعدده. وفيما يخالفه بأضداد ذلك"[١] بحيث تتقابل في وضوح. ثم اتبع التعريف بمجموعة من الأمثلة شارحا لها. من ذلك قول بعضهم:

وإذا حديث ساءني لم أكتئب ∴ وإذا حديث سرّني لم أشر

فقد جعل بإزاء سرني ساءني. وبإزاء الاكتئاب الأشر

ونلاحظ كما ذكر الأستاذ الدكتور أحمد موسي في كتابه الصبغ البديعي. أن هذا الصبغ يشتمل علي لونين من ألوان البديع. **أولها:** مراعاة النظير . **وثانيهما:** نوع من الطباق خص باسم المقابلة"[٢]

وقدامة وإن أربي علي ابن المعتز بهذه التسمية. مسبوق بمادتها في الأصول العربية[٣]

ويري الدكتور شوقي ضيف أن قدامة استمد هذا المصطلح كما استمد سابقة من أرسطو في الخطابة وحديثه عن تأليف العبارة.[٤] هذا ويدخل هذا اللون عند ابن المعتز في المطابقة والطباق .[٥] وقد استمد السكاكي [٦] ما شرطه في المقابلة من كلام قدامة.

(٥) صحة التفسير:

جعله قدامة من أنواع المعاني وعرفه بقوله : " هو أن يصنع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه. فإذا ذكرها أتي

---

[١] - ينظر نقد الشعر ص ١٤١.
[٢] - ينظر الصبغ البديعي ص ١٤٨.
[٣] - ينظر الصبغ البديعي ص ١٢٩.
[٤] - ينظر البلاغة تطور وتاريخ ص ٨٧ ، الخطابة عند ابن سينا ص ٢٢٨.
[٥] - ينظر البديع لابن المعتز ص ١٢٤.
[٦] - ينظر مفتاح العلوم للسكاكي ص٢٣٢.

بها من غير أن يخالف معني ما آتي به منها ولا يزيد أو ينقص"[١] . ثم ساق أمثلة لهذا منها قول الفرزدق:

لقد جئتُ قوماً لو لجأتَ إليهم ∴ طريدَ دم أو حاملاً ثقلَ مَغرم

فلما كان هذا البيت محتاجاً إلي تفسير قال:

لا لفيتُ فيهم مُعطيا أو مُطاعناً ∴ وراءك شَزْراً بالوشيج المقوَّم

ففسر قوله:" حاملا ثقل مغرم" بقوله أنه يلقي فيهم من يعطيه.

وفسر قوله: "

طريد دم" بقوله : إنه يلقي فيهم من يطاعن دونه ويحميه.

وقد أربي قدامة بهذا اللون علي ابن المعتز. وكان له الفضل فيه تسمية وبحثا.

وواضح أن هذا النعت يتداخل مع النعتين السابقين من صحة المقابلات. وصحة التقسيم فكأن قدامة فرع منهما هذا الفرع الجديد[٢].

(٦) التتميم:

وهو من أنواع نعوت المعاني وعرفه بقوله: " وهو أن يذكر الشاعر معني ولا يدع شيئاً يتمم به صحته وجودته إلا أتي به. إما بقصد المبالغة. وإما بقصد الاحتياط. ثم ساق له أمثلة فمن النوع الأول قول بن خليفة الغنوي[٣]:

رجال إذا لم يُقبَلِ الحق منهم ∴ ويُعْطوه عاذوا بالسيوف القواطع

فقد تمت جودة المعني بقوله " ويعطوه" و إلا كان المعني منقوص الصحة.

---

[١] - ينظر نقد الشعر ص ١٤٢.
[٢] - ينظر البلاغة تطور وتاريخ ص ٨٨.
[٣] - ينظر نقد العشر ص ١٤٤.

وأما الضرب الثاني فأنشد فيه قدامة قول طرفة:

فسقي ديارك غير مفسدِها ∴ صوب الربيع وديمة تهمي

فقوله غير مفسدِها إتمام لجودة ما قاله. لأنه لو لم يقل غير مفسدها لعيب.

وقد توارد في هذا اللون مع ابن المعتز وإن سماه ابن المعتز (الاعتراض). وسماه الجاحظ " إصابة المقدار". وسمي الكلام المشتمل عليه (الموزون)[١]. فالسبق لقدامة في التسمية بالتتميم أو التمام. وإن كان لا يبعد أخذ قدامة لقب اصطلاحه من تعريف ابن المعتز للاعتراض . فقد جاءت كلمة التتميم في تعريفه له إذ قال: " اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه. ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد"[٢]

وقد سمي المتأخرون الضرب الثاني من هذا اللون بالتكميل أو الاحتراس[٣]. لأن قول الشاعر في البيت السابق " غير مفسدها" احتراس للديار من الفساد بكثرة ما يسقط فيها من المطر.

(٧) المبالغة:

جعلها من أنواع نعوت المعاني وعرفها بقوله: " هي أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر. لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده. فلا يقف حتى يزيد في معني ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له[٤]" ومثل لها بأمثلة كثيرة وشرحها ومنها قول عمير بن الأيهم التغلبي:

ونكرم جارنا ما دام فينا ∴ ونتبعُهُ الكرامة حيثُ سارا

---

[١] - ينظر

[٢] - ينظر البديع ص١٥٤.

[٣] - ينظر شروح التلخيص جـ٣ ص٢٣١.

[٤] - ينظر نقد الشعر ص ١٤٦.

فإكرامهم للجار مادام فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة. وإتباعهم إياه الكرامة حيث كان. من المبالغة في الجميل. وهذا اللون سماه ابن المعتز "الإفراط في الصفة"[١] . وإن كان الناس على تسمية قدامة لأنها أخف وأعرف كما يقول ابن أبي الإصبع المصري[٢].
وقد عرض لهذا اللون ابن قتيبة في كتابه مشكل القرآن واحتج لها. وأرسطو في الخطابة ولعل قدامة استمد في هذا اللون من كلامهما[٣].

٨- التكافؤ :

جعله قدامة من نعوت المعاني ثم حده بقوله " هو أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه " . ويتكلم فيه . أي معنى كان . فيأتي بمعنيين متكافئين . والذي أريد بقولى متكافئين في هذا الموضوع أي متقابلين . إما من جهة المصدر أو السلب والإيجاب أو غيرها من أقسام التقابل . وذكر له أمثلة كثيرة[٤] منها قول أبى الشعب العباسي :

حلو الشمائل وهو مر باسل ∴ يحمى الذمار صبيحة الأرهان

وهذا اللون بعينه هو " المطابقة أو الطباق " عند ابن المعتز . غير أنه يخصه بمتضادين فقط . وكأنه يجعل توالى المتضادات مقابلة . أما مجيئها ثنائية فتكافؤ . وكان حريًا به أن يلغى هذا التكافؤ لدخوله في المقابلة . وكأنما أراد التشويش على ابن المعتز في لقبه الذي جلبه من الأصمعي . على أن البلاغيين من بعده رفضوا اصطلاحه وظلوا

---

[١] - ينظر البديع ص ١٦٢.
[٢] - ينظر بديع القرآن لابن أبي الإصبع ص ٦٤.
[٣] - ينظر العمدة لابن رشيق جـ٢ ص ٥٤ ،٥٧، والبلاغة تطور وتاريخ ص ٨٨، والصبغ البديعي ص ١٥١.
[٤] - ينظر : نقد الشعر ص ١٤٧ ، ١٤٨

على اصطلاح ابن المعتز لأنه أوضح في الدلالة على الجمع بين الضدين .[١]

وقد عاب الآمدي على قدامة هذه المخالفة وبين له أن الخلاف في التسمية ليس من دأب المحصلين . فهذا اللون مما تداخل على قدامة[٢]

٩- الالتفات :

جعله قدامة من نعوت المعاني وعرفه بقوله : " هو أن يكون الشاعر آخذا في معنى فكأنه يعترضه إما شك أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله . أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه . فإما أن يذكر سببه أو يحل الشك فيه .[٣] ثم ساق أمثلة لهذا اللون وشرحها . وكلها يعطى أنه نوع من نوعى الاعتراض عند ابن المعتز .[٤] فقد مثل قدامة للإلتفات بأبيات على حذو هذا البيت من قول الرماح ابن ميادة :

فلا صرمه يبدو . وفى اليأس راحة ∴ ولا وصله يبدو لنا فنكارمه

ومأخذ هذا الصبغ هو التفات الأصمعي .[٥]وهذا اللون من المعاني عند المتأخرين.

١٠ – المساواة :

جعلها من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعني ثم عرفها بقوله :(هو أن يكون اللفظ مساويا للمعني حتى لا يزيد عليها ولا ينقص عنه)[٦] ومثل له بأمثلة منها قول زهير:

---

[١] - ينظر : البلاغة تطور تاريخ ص ٨٨ ، ٨٩
[٢] -ينظر : الصبغ البديع ص١٥١
[٣] -ينظر : نقد الشعر ص ١٥٠ - ١٥٢
[٤] - ينظر : البديع لابن المعتز ص ١٥٤
[٥] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٨٩
[٦] - ينظر : نقد الشعر ص ١٥٣

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ... وان خالها تخفي علي الناس تُعلَم

و قدامة وان كان قد أربي علي ابن المعتز بهذا اللون قد استقي هذه التسمية من نصوص تقدم عليه أصحابها .إذ نري قدامة يقول بعد تعريفه للمساواة (وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال :كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي :مساوية لها لا يفضل احدهما علي الآخر).

وقد عرض لها الجاحظ من قبله أيضا .قال:(حق المعني أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا .ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا)[١]

وقد عد البلاغيون هذا اللون من علم المعاني [٢].

١١-**الإشارة:**

جعلها من أنواع ائتلاف اللفظ والمعني ثم حدها بقوله :(هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا علي معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها)[٣]. وهو هنا يفسر ماقاله ابن المقفع من أن البلاغة هي الوحي في الكلام والإشارة إلي المعني .وردد الجاحظ مرارا أنهم يمدحون الإيجاز والكلام الذي هو كالوحي والإشارة[٤].

وقد عرض لها المبرد في الكامل و سماها الإيماء . قال :من كلام العرب الاختصار المفهم ،والإطناب المفخم ،وقد يقع الإيماء إلي الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل: (لمحة دالة)[٥].

---

[١] - ينظر : البيان والتبيين ج١ ص٧٩
[٢] - ينظر :شروح التلخيص ج٣ص١٨٠
[٣] - ينظر :نقد الشعر .ص١٥٤
[٤] - ينظر : البيان والتبيين ج١ ص١٥٥ .وتلخيص ابن سينا لكتاب الخطابة ص٢١٦ ، والبلاغة تطور وتاريخ ص٨٩
[٥] - ينظر: رغبة الآمل ج١ص٧٩

فقدامه وإن أربي علي ابن المعتز بهذا اللون فهو مسبوق إليه .فقد نقل. إضافة إلي ما ذكر ـما يفيد أنه مسبوق إليه حيث يقول : كما قال بعضهم .وقد وصف البلاغة فقال .هي لمحة دالة[١].

ومن الإشارة عند قدامة قول امريء القيس:

فإنْ تَهلكْ شنوءة أو تبدَّل ∴ فسيري أنَّ في غسَّان خالا[٢].

لعزهم عززت و إن يذلوا ∴ فذلهم أنا لك ما أنالا

فَبِنْيةُ هذا الشعر على أن ألفاظه . مع قصرها . قد أشير بها على معان طوال . فمن ذلك قوله (تهلك أو تبدل) ومنه قوله (إن غسان خالا) ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح طويل وهو قوله (أنا لك ما أنا لا)

١٢- الإرداف :

جعله من نعوت جودة ائتلاف اللفظ والمعنى . وحده بقوله (هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له . فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع)[٣] ثم ساق له أمثلة من بينها قول امرئ القيس:

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها ∴ نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

ثم علق عليه بقوله : وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترف هذه المرأة .وأن لها من يكفيها فقال : نؤوم الضحى وأن فتيت المسك يبقي إلي الضحى فوق فراشها وكذلك سائر البيت أي : هي لا تنتطق لتخدم .ولكنها في بيتها متفضله . ومعني (عن) في هذا البيت معني (بعد) .

وقد سبق قدامة إلي هذا النوع إلا أن الجاحظ لقبه بالتعريض و الكناية . وتابعه ابن المعتز . أما ثعلب فسماه (لطافة المعنى) .وسماه المبرد

---

[١] ـ ينظر : نقد الشعر ص١٥٥. قائل هذه العبارة خلف الاحمر

[٢]- شنوءة : قبيلة من اليمن ، وغسان : اسم ماء كانو انزلوا عليه فسموا به

[٣] ـ ينظر : نقد الشعر ص ١٥٧

(الكناية)[١] وجعلها علي ثلاثة أوجه .وقد قصر المتأخرون[٢] اسم الكناية علي ما عرف عند المتقدمين باسم الإرداف .

١٣-التمثل :

جعله قدامة من نعوت ائتلاف اللفظ والمعني وحده بقوله : هو أن يريد الشاعر إشارة إلي معني فيضع كلاما يدل علي معني أخر .وذلك المعني الأخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه [٢].وقد ساق له أمثلة وشرحها.من ذلك قول ابن ميادة :

ألم تك في يمني يديك جعلتني ∴ فلا تجعلني بعدها في شمالكا

وواضح أنه كني باليمين عن تقدّمه عنده .وبالشمال عن تأخره وهبوط منزلته

وقد أتى الشاعر بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل . وهذا ضرب من " التعريض والكناية "

والتمثيل عند قدامة يشمل الاستعارة التمثيلية . وبعض صور الكناية كما هو واضح من أمثلته . و قدامة وإن أربى على ابن المعتز بهذا اللون لم يكن السابق إليه فقد عرفه السابقون عليهما وسموه المثل . كأبي عبيدة[٣] والمبرد[٤] . هذا وبين الكتب التي تنسب إلى الجاحظ كتاب سماه " التمثيل "[٥] . وقد سماه أبو هلال العسكري " المماثلة"[٦] .

---

[١] - ينظر : الصبع البديع ص١٥٣،و البلاغة تطور وتاريخ ص ٩٠
[٢] -ينظر : شروح التلخيص ج٤ ص٢٣٧
[٣] -ينظر : نقد الشعر ص١٦١،١٦٠
[٤] - ينظر : النقائض جـ ١ ص ٢٩٥
[٥] - ينظر : رغبة الأمل جـ ١ ص ١٨٢
[٦] - ينظر : الصبغ البديعى ص ١٥٣
[٧] - ينظر : الصناعتين ص ٣٥٣

١٤ - المطابق : ١٥ - المجانس :

قال قدامة : وقد يضع الناس من مصنفات الشعر المطابق والمجانس . وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى . ومعناهما أن يكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة . فأما المطابق : فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها مثل قول الأفوه الأودى :

وأقطعُ الهوجلَ مستأنسا ∴ بهوجل عيدانه عنتريس

فلفظة الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين لأن الأول يعنى الأرض . والثاني الناقة .[١]

ويلاحظ أن قدامة لا يريد بالمطابق معناه عند ابن المعتز . وإنما يريد به ضرباً من المجانس أو الجناس[٢] . وهو الجناس الكامل . وقد استعار لقب هذا النوع من ثعلب في كتابه قواعد الشعر[٣]

أما المجانس فهو أن تكون المعاني مشتركة في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق كقول حبان بن ربيعة الطائي :

لقد علم القبائل أن قومي ∴ لهم حد إذا لبس الحديد

ومضى قدامة ينشد في الجناس نفسه أكثر الأبيات التي أنشدها ابن المعتز للقدماء فيه. وقصره في تعريفه له على جناس الاشتقاق .كما قصره على ذلك في أمثلته .

فقدامة نراه يشقق الجناس الذي عرض له ابن المعتز ومن تقدمه وينوعه :

---

[١] ـ ينظر : نقد الشعر . ص ١٦٢

[٢] ـ انظر : كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزية الحنبلي ت / محمد بدر الدين ط . السعادة ص ١٤٦

[٣] ـ ينظر : قواعد الشعر . ص ٦٤ . وانظر البلاغة تطور وتاريخ ص ٩٠

فيطلق علي ما كان بين الجوامد اسم المطابق .وعلي ما كان بين المشتقات اسم الجناس . وله سلف في هذا فأستاذه ثعلب في كتاب (قواعد الشعر) يسمي أنواع الجناس كلها طباقاً .

وقد سماه أبو هلال العسكري باسم (التعطف)[١] وكان حرياً أن لا يفرده البلاغيون عن الجناس لأنه صورته الكاملة . وأن يتأسوا في ذلك بصنيع ابن المعتز [٢] ونري قدامة يسوق بعض أمثلة في المطابق مما أنشده ابن المعتز في فن الجناس .

١٦- ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت:

عرفه قدامة بقوله : " هو أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معني البيت تعلقا نظم له وملاءمة لما مرّ فيه" ثم فرع من هذا الباب نوعين هما : التوشيح. والإيثال [٣]

وهو إن أربى علي ابن المعتز هذا اللون مسبوق إليه فقد نقل الجاحظ عن شبيب بن شيبة قوله:[٤] (الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه. وأنا موكل بتقديم جودة القطع وبمدح صاحبه. وحظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت)

وقال: بشر بن معتمر[٥] (فإن كانت القافية لم تحل مركزها وكانت قلقة في مكانها فلا تكرهها علي اغتصاب الأمكان والنزول في غير أوطانها)

وقد سمى المتأخرون هذا اللون " التمكين" كما يقول ابن أبي الإصبع في المقدمة[٦]

---

[١] - ينظر : الصناعتين ص ٤٢٠

[٢] - ينظر :البلاغة تطور وتاريخ ص ٩٠

[٣] - ينظر: نقد لاشعر ص١٦٧.

[٤] - ينظر: البيان والتبيين للجاحظ جـ١، ص ٩٠.

[٥] - ينظر: البيان والتبيين جـ١ ، ص١٠٦.

[٦] – ينظر: بديع القرآن ابن أبي الإصبع.

١٧-التوشيح :

جعله من أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت ثم حدّه بقوله :

" هو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعاناها متعلقا به حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته"[٥]

ثم ساق أمثلة لذلك اللون منها قول الراعي :

وإن وُزِنَ الحصى فوزنت قومي ∴ وَجدتُ حصى ضريبتهم رزينًا

ف إذا سمع الإنسان أول هذا البيت استخرج منه لفظ قافيته . لأنه يعلم أن قوله . " وزن الحصى " سيأتي بعده " رزين " لعلتين :

أحدهما : أن قافية القصيدة توحيه . والأخرى : أن نظام المعنى يقتضيه . الذي يفاخر برجاحة الحصى يلزمه أن يقول في حصاه إنه رزين .

توشيح عند قدامة هو نفس ما سماه ابن المعتز باسم " رد أعجاز الكلام على ما تقدمها " . وإن توسع قدامة فيه بعض الشيء إذ جعله يشمل كل ما يشهد للقافية من معاني البيت أو ألفاظه[١] .

قدامة لم يكن السابق إلى هذا اللون . فقد عرفه المتقدمون وإن لم يسمنوه بهذا الاسم . قال ابن رشيق[٢] . ويُحكى عن عدّى بن الرقاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها " تزجى أغن كأن إبرة روقه "

فغفل الممدوح عنه فسكت . فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول . فقال . يقول : " قلم أصاب من الدواة مدادها " وأقبل عليه الممدوح فأنشد كما قال جرير لم يغادر حرفاً . وقد قال ابن المقفع[٣] ليكن في صدر كلامك

---

[٥] - ينظر : نقد الشعر : ص ١٦٧

[١] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٩٠

[٢] - ينظر : العمدة لابن رشيق جـ ٢ ص ٣١

[٣] - ينظر : البيان والتبيين جـ ١ ص ٣١

دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته . و قدامة وإن سماه بالتوشيح . فقد سمي فيما بعد بالتسهيم . وقيل إن الذي سماه بذلك علي بن هارون المنجم . وأما ابن وكيع (ت ٣٩٣) فسماه المطمع[١] وقد عرف فيما بعد باسم (الإرصاد)[٢]

١٨- **الإيغال :**

جعله قدامة من أنواع ائتلاف القافية مع سائر معنى البيت . ثم حده بقوله : (هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع . ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت . وذكر له أمثلة متعددة منها قول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خِبائِنَا ∴ وأرحلنا الجزع الذي لم يُثْقب

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملا قبل القافية . وذلك أن عيون الوحش شبيهة بالجزع . ثم جاء بالقافية أوغل بها في الوصف و وكده . وهو قوله (الذي لم يثقب) فإن عيون الوحش غير مثقبة . وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه[٣].

و قدامة وإن أربى على ابن المعتز بهذا الصبغ فقد سبقه إليه الأصمعي وإن لم يسمه[٤].

١٩- الاستعارة :

عرض قدامة للاستعارة في أثناء حديثه عن المعاضلة حيث فسرها بفاحش الاستعارة[٥]. وساق أمثلة لذلك منها قول أوس :

---

[١] - ينظر : العمدة جـ ٢ ص ٣٠

[٢] - ينظر : العمدة جـ ٢ ص ٣١

[٣] - ينظر : نقد الشعر ص ١٦٨

[٤] -ينظر : البلاغة وطورها وتاريخ ص ٩١ . ، والصبغ البديعي ص ١٥٥

[٥] - ينظر : نقد الشعر ص ١٧٤- ١٧٧

وذات هدم عارٍ نواشرها ∴ تصمت بالماء تولباً جدعاً

فسمى الصبي تولبا وهو ولد الحمار . ثم ساق أمثلة لغير القبيح منها بما شمل التصريحية والمكنية منها قول امرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه ∴ وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فكأنه أراد أن هذا الليل في تطاوله كالذي يمتطي بصلبه لا أن له صلباً .

وقول أبي ذؤيب الهزلي:

وإذا ما المنية أنشبت أظفارها ∴ ألفيت كل تميمة لا تنفع

و قدامة مسبوق بهذا المصطلح وبهذا اللون البديعي[١] .

٢٠ - **التصريع :**

جعله قدامة من نعت القوافي وعرفه بقوله (هو أن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها)[٢] ثم يبين أن الفحول والجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه . وربما صرعوا أبياتاً أخر من القصيدة بعد البيت الأول وذلك من اقتدار الشاعر وسعة بحره.

و قدامة وإن أربى على ابن المعتز بهذا اللون ليس بالسابق إليه فقد سبق به علم العروض والقوافي الذي ولد مكتملا على يد الخليل بن أحمد.

يقول صاحب الصبغ البديعي : وإنما قلنا : إن التصريع من ألوان البديع لأن الأدباء قبل قدامة كانوا يعدونه من محسنات الكلام. فهذا أبو تمام يمتدحه يقول :

وتقفولى الجدوى بجدوى وإنما ∴ يروقك بيت الشعر حين يصرع[٣]

هذه هي فنون البديع التي عرض لها قدامة في كتابه نقد الشعر حاولت الكشف عن مبلغ سبقه أو محاكاته للسابقين.

---

[١] - ينظر : العمدة جـ ص ٢٣٩ ، وإعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٨ ، والنقائص جـ ١ ص ٢٧٥

[٢] - ينظر : نقد الشعر ص ١٨١ - ١٨٣

[٣] - ينظر : الصبغ البديعي ص ١٥٦

الفصل الثالث

ألوان البديع بين ابن المعتز و قدامة بن جعفر في الميزان

ويتضمن ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : ألوان البديع عند ابن المعتز في الميزان

المبحث الثاني : ألوان البديع عند قدامة في الميزان

المبحث الثالث :الألوان البديعية التي توافق فيها ابن المعتز و قدامة .و ما خلصت لكل منهما

المبحث الأول

ألوان البديع عند ابن المعتز في الميزان

إن من الواضح بعد العرض والدراسة لألوان البديع عند ابن المعتز في كتابه البديع أنه قد بذل جهودا واضحة نعترف بها .و يعترف بها كل من يطالع كتابه في البحث عن تلك الفنون . مدفوعا إلي ذلك بعصبيته لعروبته . منكرا على من لم يرون أن المولدين من أمثال بشار .ومسلم ابن الوليد .وأبى نواس ومن حذى حذوهم هم أصحاب تلك الألوان البديعية. وأنها من صنعهم واختراعهم . وأن القدماء لم يعرفوها ولم يستعملوها. .

وكتاب (البديع) يعد أول كتاب بلاغي خالص . جمع فيه صاحبه كل الفنون البلاغية التي كانت معروفة في عصره .وأضاف إليها من اختراعاته . مع حشد مجموعة كبيرة من الأمثلة الجيدة للفنون البلاغية التي جمعها وساقها في عرض جميل. ونظام محكم.

وأهم سمة يمتاز بها كتاب البديع هو النظام الدقيق في العرض مما يتجلى في جميع أبواب الكتاب مع الذوق وسعة الاطلاع . وحسن الاختيار في جميع شواهد الكتاب .

لقد تكلم ابن المعتز عن ثمانية عشر لونا من ألوان البديع حرص على أن يستشهد لكل لون من كلام القدماء و المحدثين محاولا أن يسوى بينهم في الإحسان مع الاحتياط إزاءهم جميعا .وهو احتياط جعله يعقب علي شواهدهم الرائعة في فنون البديع بما يعاب من كلامهم وأشعارهم جميعا .فهو يستحسن حين يري الاستحسان و يستهجن حين يري الاستهجان . بغض النظر عن القدم والحداثة .

وقد تحدثت في المبحث الأول من هذا الفصل عن أهمية كتاب البديع وقيمته بين كتب البلاغة .وأشرت إلي أن ابن المعتز بكتابه هذا قد رسم منهج البديع .أو وسائل تحسين الأسلوب الأدبي . ومهد السبيل لكثير من العلماء الذين خاضوا بحار الصنعة واستحسنوا فنونا بديعية كثيرة . لذا فإن كتاب البديع يعد بلاشك محاولة علمية جادة . تلقفها البلاغيون والنقاد من بعده . وأضافوا إليها ما استكملوا به مباحث هذا العلم وقضاياه .

وإن كان لي من نظرة فيما أورده ابن المعتز من ألوان بديعية بعدما تناولتها بالعرض والدراسة فإنها تتمثل في الأتي :

أولا : أن ابن المعتز أورد ثمانية عشر لونا من فنون الكلام أطلق علي خمسة منها اسم البديع ابتدأها بالاستعارة . وثلاثة عشر أطلق عليها محاسن الكلام و ابتدأها بالالتفات وختمها بحسن الابتداءات ولم يغلق الباب أمام من أتوا بعده من العلماء حيث قال : (إنها كثيرة . ولا يري حرجا في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع[١] .

ثانيا : أن ابن المعتز اكتفى بفنون خمسة من محاسن الكلام رأى أن يخصها باسم البديع . ولعل الذي دفعه إلى ذلك كما يقول الدكتور شوقي ضيف هو أنها فعلا الفنون التي كانت موضع أخذ ورد بين أصحاب البلاغة العربية الخالصة . وبين طوائف المتفلسفة . ومن ينزعون نحو التجديد المسرف . حيث إننا إذا قرأنا في النقد الذي وجه إلى أبى تمام والذي جمع أطرافه الآمدي في كتابه " الموازنة بين الطائيين " فسنراه يدور على الجناس والطباق والاستعارة المتعمقة وغموض المعاني ودقتها مما سماه ابن المعتز باسم المذهب الكلامي ناقلا للتسمية عن الجاحظ . أما

---

[١] - ينظر : البديع . ص ١٥٢

رد الأعجاز على ما تقدمها فقد جاء به رمزاً لعناية بعض المحدثين بموسيقاهم الحسية ."[1]

ويرى الدكتور بدوى طبانة أن ابن المعتز لم يؤلف كتابه في وقت واحد . بل ألفه على مرحلتين . وقد أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة المذكورة في البديع ولعله سمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتتبعين اعتراضا على قصر البديع على الفنون الخمسة الأولى . وأنهم رأوا البديع أكثر مما ذكر . فأقرهم على دعواهم . وكتب بقية المحسنات . وضمها إلى الفنون الخمسة . لينفى عن نفسه مظنة الجهل بتلك البقية "[2]

ثالثا: يلاحظ أن ابن المعتز لم يتوسع في الكلام عن ما سماه بمحاسن الكلام بنفس الطريقة التي تكلم بها عن الفنون الخمسة الأساسية. واكتفى بالتمثيل لها فقط.دون ذكر الأمثلة المعيبة من كل محسن. وإذن كان قد حرص في كل هذه المحسنات وما سبقها من فنون البديع أن يستشهد عليها من كلام القدماء والمحدثين.

رابعا: أن ابن المعتز ينحو في دراسة ألوان البديع نحو الدراسة التطبيقية الواسعة التي لها أثرها في تكوين الملكة والذوق. ودعم الفكرة والرأي في نفس القارئ.

خامسا: لم يعتمد ابن المعتز الاصطلاحات العلمية الدقيقة. وتحديدات المنطقيين العميقة. وإنما يكتفي في توقيف القارئ علي مدلول اللون البديعي بشرح أدبي موجز حينا. وبما تدل عليه الشواهد حينا آخر. وبأسلوب يفيض بلاغة وسهولة كما يدل علي ذوق سليم. وفطرة عربية مطبوعة.

---

[1] ـ ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٧٠ بتصرف

[2] ـ ينظر : البيان العربي : ص ١٣٣ ، ١٣٤

سادسا : إذا أمعنا النظر في هذه الألوان وما استقر عليه البلاغيون مؤخراً بعد تقسيمهم لعلوم البلاغة إلى معانٍ . وبيان . وبديع نجد أن بعضها ضمن مباحث علم المعاني وهو الالتفات . والاعتراض . وبعضها ضمن مباحث علم البيان وهى الاستعارة . والكناية . والتشبيه . والباقي منها من ألوان علم البديع

سابعا : أنه من خلال تتبع هذه الألوان التي أوردها ابن المعتز واستقرائنا لها عند السابقين عليه أمثال الخليل . وسيبويه والجاحظ وثعلب والمبرد وغيرهم وعند من جاء بعده من العلماء أمثال أبى هلال العسكري . وابن سنان الخفاجى . وعبد القاهر وابن رشيق وغيرهم نجد أن ابن المعتز كغيره من العلماء قد تأثر بمن سبقه . وتأثر به من جاء بعده .

وإذا كنت قد ألمحت إلى بعض أشكال هذا التأثر في المبحث السابق فإني الآن أحاول كشف النقاب عن أهم من تأثير بهم ومظاهر هذا التأثر . وعن أهم من تأثروا به ومواطن هذا التأثر .

١- **فالاستعارة** – وهى الباب الأول في كتابه البديع – نهج ابن المعتز في دراستها منهج أستاذه ثعلب في كتابه قواعد الشعر[١] . وقد عقد لها أبو هلال العسكري بابا ترسَّم فيه خطا ابن المعتز في دراسة الاستعارة[٢] . وعلى ضوئه سار ابن رشيق[٣] وقد عدها البلاغيون من أبواب علم البيان.

٢- **والتجنيس** وإن كان هناك من سبق ابن المعتز في الكلام عنه أمثال أرسطو . وثعلب . والأصمعي إلا أن ابن المعتز يعد أهم من درس

[١] - ينظر : قواعد الشعر لثعلب ص ٢١
[٢] - ينظر : الصناعتين ص ٢٥٨ – ٢٩٧
[٣] - ينظر : العمدة جـ ١ ص ٢٣٩

التجنيس وجمعه . وهو الواضع لهذا اللقب . وأول من أفرد هذا الباب بالبحث والتأليف[١] . فقد عرفه وذكر أقسامه وأفاض في ذكر شواهده . وذكر مثلا لمعيبه[٢] . كما رأينا عند عرضه . وترسم أبو هلال خطا ابن المعتز في هذا الباب[٣] .

٣- **والمطابقة** : لم يزد ابن المعتز على أن نقل تعريف الخليل لها ثم وشح ذلك بالأمثلة وصنيعه يدل على أنه مسبوق إليها من الخليل . قال ابن رشيق[٤] " تكلم الخليل والأصمعي عن الطباق وعليهما اعتمد العلماء "

وابن المعتز فوق معرفته بالمطابقة فهو يعرف المقابلة ويذكرها باسمها . ولم يذكرها في كتاب البديع . وفى الصناعتين باب المطابقة تأثر فيه أبو هلال بابن المعتز إلى حد كبير[٥] . وكذلك فعل ابن رشيق[٦] .

٤- **ورد العجز على الصدر** : اصطلاح جديد لابن المعتز لم يسبق إليه - فيما نعلم - فالفضل له في هذا الاصطلاح . وقد ذكر أقسامه . وشواهد كثيرة له . ثم ذكر مثلا قليلة لما عيب منه .

وقد سار على نهجه أبو هلال[٧] . وابن رشيق سماه التصدير[٨] . ونقل فيه كثيراً من مثل ابن المعتز وشواهده . وابن الأثير جعل

---

[١] - ينظر : العمدة حـ ١ ص ٢٩٩
[٢] - ينظر : البديع ص ٥٥ - ٧٣
[٣] - ينظر : الصناعتين ص ٣١٠ - ٣٢٨
[٤] - ينظر : العمدة حـ ١ ص ٢ - ٧
[٥] - ينظر : الصناعتين ص ٢٩٧ - ٣١٠
[٦] - ينظر : العمدة حـ ٢ ص ٥
[٧] - ينظر : الصناعتين ص ٣٧٧ - ٣٨٠
[٨] - ينظر : العمدة حـ ٢ ص ٣

رد العجز على الصدر ضربا من التجنيس [١].

٥- **والمذهب الكلامي** : أسند تسميته إلى الجاحظ . وذكر أنه ليس في القرآن منه شيء وأنه ينسب للتكلف . وقد نقده أبو هلال [٢] . لأنه عد هذا الباب من البديع مع أنه نسبه إلى التكلف .

وابن المعتز يذكر شواهد له . ومثلا للمعيب منه [٣] . واحتذاه أبو هلال [٤] . وابن رشيق [٥] .

٦- **والالتفات** : كما رأينا . عرفه بقوله : هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار . وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك . ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر . فنلحظ أن تعريفه شمل شيئين : الأول ما عرف بالالتفات في عرف المتأخرين. والثاني نوع من الاعتراض .

أما الأول فقد سبق إليه أبو عبيدة . قال في مقدمة كتاب " مجاز القرآن " ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب قول الله تعالى " حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم " أي بكم [٦]..." وإن لم يسمه . ثم تبعه المبرد . [٧]

وأما النوع الثاني من الالتفات – فكما أشرت – فقد سبق إليه الأصمعي نص على ذلك ابن رشيق [٨]

---

[١] - ينظر : السائر حـ ٣ ص ١٠٠

[٢] - ينظر : الصناعتين ص ٣٨٩

[٣] - ينظر : البديع ص ١٠١ _ ١٠٦

[٤] - ينظر : الصناعتين ص ٣٩٣ - ٣٩٩

[٥] - ينظر : العمدة حـ ٢ ص ٧٥ وما بعدها

[٦] - ينظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ص ١١

[٧] - ينظر : الكامل للمبرد حـ ١ ص ١٣٥

[٨] - ينظر : العمدة حـ ٢ ص ٤٦

فأخذ ابن المعتز هذه التسمية – الالتفات – ونوعها إلى هذين النوعين

والالتفات هو الاعتراض عند قوم منهم صاحب العمدة[١] . ولذلك ذكر ابن رشيق في عمدته بعض مثل للالتفات ذكرها ابن المعتز في باب الاعتراض . كما نقل ابن رشيق مثلا للالتفات ذكرها ابن المعتز في باب الالتفات[٢].

وقد تأثر به المتأخرون كابن رشيق . وابن الأثير[٣] . وإن كان ابن الأثير قد توسع في الكلام عنه بوضوح وفهم لأسراره البلاغية – كما أشرت في الكلام عن هذا اللون عند ابن المعتز.

٧- **والاعتراض** : لم يكن ابن المعتز السابق إلى هذا اللون بل سبقه الأصمعي إلى مسماه . وهو –أيضا – موجود عند الجاحظ[٤]– وإنما كان الفضل لابن المعتز في تسميته بالاعتراض.

وقد تأثر به أبو هلال العسكري[٥] . وجعله المتأخرون نوعا من أنواع الإطناب[٦] . وبذلك يسلك في علم المعاني .

٨- **والرجوع** : عرفه . وذكر شواهد له . ويعد ابن المعتز أول من ابتكر هذا اللقب له وهذا الفن تكلم عنه البلاغيون المتأخرون بما لا يخرج عن ما ذكره ابن المعتز . وجعلوه فنا من فنون البديع المعنوي[٧] .

---

[١] - ينظر : العمدة حـ ٢ ص ٤٢

[٢] - ينظر : العمدة حـ ٢ ص ٤٢ – ٤٤ ، والبديع ص ١٠٨

[٣] - ينظر المثل السائر : حـ ٢ ص ١٦٧ وما بعدها

[٤] - ينظر : البيان والتبيين حـ ١ ص ٢٦٣

[٥] - ينظر : الصناعتين ص ٣٨٥

[٦] - ينظر : ينظر : شروح التلخيص حـ ٢ ص ٢٣٧

[٧] - ينظر : الإيضاح لتلخيص المفتاح حـ ٤ ص ٢٨

٩- **حسن الخروج** : لم يعرفه ابن المعتز . وسماه ثعلب : " حسن الخروج من النسيب ووصف الإبل إلى المديح "[١]. وسماه أبو هلال العسكري : الخروج من النسيب إلى المديح وغيره . وتوسيع الكلام فيه[٢]. وسماه بعض البلاغين بالاستطراد والتخلص . وعرف عند المتأخرين بالاستطراد وساقوا له أمثلة من أمثلة ابن المعتز[٣] .

١٠- **تأكيد المدح بما يشبه الذم** : هذا اللون من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه . وقد سماه بعض البلاغين من بعده بالاستثناء[٤]. ولكن تسمية ابن المعتز أدّل وأوضح لذا التزم بتسمية ابن المعتز و السكاكي ومن أتى بعده من شراح التلخيص[٥] .

١١- **تجاهل العارف** : لم يعرفه واكتفى بالتمثيل له . ويعد من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه وقد تبعه أبو هلال[٦] .

وقد سماه المتأخرون الإعنات والتشكيك[٧] . وعرفه السكاكى بقوله: " سوق المعلوم مساق غيره لنكتة "[٨] وساق له من أمثلة ابن المعتز .

١٢- **الهزل الذي يراد به الجد** : استمده ابن المعتز من أمثلة الجاحظ[٩]. وكان اصطلاحه من ابتكار ابن المعتز . وقد تأثر به من جاء بعده من البلاغين[١٠] .

---

[١] - ينظر : قواعد الشعر . ص ٦٠
[٢] - ينظر : الصناعتين ص ٤٥٢
[٣] - ينظر : الإيضاح حـ ٤ ص ٢٤ ، ٢٥
[٤] - ينظر: الصناعتين ص ٤٠٨ ،وإعجاز القرآن ص ١٠٦ ، ١٠٧، والعمدة حـ ٢ص٤٨
[٥] - ينظر : شروح التلخيص حـ ٤ ص ٣٨٦
[٦] - ينظر : الصناعتين ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩
[٧] - ينظر : العمدة حـ ٢ ص٦٦
[٨] - ينظر : الإيضاح حـ ٤ ص ٦٦
[٩] - ينظر : البيان والتبيين حـ ١ ص ٩٣ ، ٩٤
[١٠] - ينظر : المفتاح للسكاكى ص ٢٢٦

١٣- **حسن التضمين :**

لم يعرفه ابن المعتز . واكتفى بالتمثيل له – كما أشرت – وقد عرف هذا المعنى من قبل ابن المعتز . ولكنهم لم يلقبوه هذا اللقب . ويلاحظ أن الجاحظ يسميه الاقتباس[١] وقد تأثر أبو هلال بابن المعتز وسمى هذا اللون " حسن الأخذ " [٢] وتأثر به أيضا ابن رشيق [٣].

١٤ _ **التعريض والكناية :**

لم يعرفها ابن المعتز واكتفى بالتمثيل لها ولم يتوسع في الكلام عنها . على الرغم من أنها وردت في كتابات الجاحظ [٤] . وتوسع في الكلام عنها المبرد . وثعلب وهما – كما أشرت – من أشهر أساتذته .

ويلاحظ أن ابن المعتز لم يفرق بين التعريض والكناية . على حين أن فرقوا بينهما وجعلوهما أحد مباحث علم البيان [٥].

١٥ _ **الإفراط في الصفة :**

لم يعرفه واكتفى بالتمثيل له . ثم إن الأمثلة التي ساقها تنطبق على المبالغة معتدلها ومسرفها . وهو مسبوق إليها من الأصمعي . قال ابن رشيق [٦] : " قيل للأصمعي من أشعر الناس ؟ قال . الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كثيرا . أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيسا " كما عرض لها ابن قتيبة في مشكل القرآن . ثم عرض لها المبرد فيما نقله ابن رشيق عنه [٧] .

---

[١] - ينظر : البيان والتبيين . ج١ ص ١١٨ ، وينظر البلاغة تطور وتاريخ ص٥٣

[٢] - ينظر : الصناعتين ص ٢١٧ وما بعدها

[٣] - ينظر : العمدة ج٢ ص ٨٤

[٤] - ينظر : البيان والتبيين ج١ ص ١٨٠

[٥] - ينظر: شروح التلخيص ج٢ ص ٢٦٨

[٦] - ينظر : العمدة ج٢ ص٥٤

[٧] -ينظر : العمدة . ج٢ ص٥٧

فابن المعتز مسبوق بها على هذا الوجه . وسماه قدامة بعده المبالغة وفرع منها الغلو[١] . وتبعه البلاغيون فى ذلك [٢].

١٦ ـ **حسن التشبيه :**

على الرغم من أن ابن المعتز مسبوق بمن تكلم عن التشبيه بمعناه الاصطلاحي . وفصل الحديث فيه كالجاحظ والمبرد[٣] . نجد ابن المعتز يكتفي بإيراد أمثلة كثيرة . فضلا عن أنه جعله أحد فنون البديع .

وقد توسع البلاغيون المتأخرون في الكلام عنه وقسموه باعتبارات مختلفة[٤].

١٧ ـ **إعنات الشاعر نفسه** في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له :

هذا اللون يريد به ما اصطلح عليه من جاءوا بعده باسم " لزوم مالايلزم " وقد توسع البلاغيون المتأخرون في الكلام عن هذا اللون [٥].

١٨ ـ **حسن الابتداءات :**

سرد له أمثلة كثيرة . وليس ذلك من اختراع ابن المعتز حيث شرح الجاحظ هذا اللون شرحا وافيا مقررا بلاغة هذا اللون أحسن تقرير[٦].

ولكن ابن المعتز هو الذي سبق إلى هذه التسمية وأفاض في ذكر شواهد هذا الباب مما احتذاه فيه أبو هلال[٧] وسواه . وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال[٨].

---

[١] - ينظر : نقد الشعر . ص ١٦٠ وما بعدها

[٢] - ينظر : شروح التلخيص . ج٤ ص ٣٥٧

[٣] - ينظر : البيان والتبيين ج٢ ص٢٢٩ ، ج٣ ص٢٤٣ ، الكامل ح٢ ص٣٥ - ١٠١

[٤] - ينظر شروح التلخيص ج٣ ص٢٩١

[٥] - ينظر : البلاغة النية ص١

[٦] - ينظر البيان والتبيين ح١ ص٩١ - ٩٢

[٧] - ينظر الصناعتين ص٤٨٧

[٨] - ينظر حسن التوسل ص٩٣

المبحث الثاني

ألوان البديع عند قدامة بن جعفر في الميزان

لعل من الواضح بعد العرض والدراسة لألون البديع عند قدامة بن جعفر في كتابه : " نقد الشعر " ندرك بوضوح مدى الجهد العقلي الذي بذله قدامة في تطبيق ما فهمه من مقاييس البلاغة اليونانية عند أرسطو على البلاغة العربية . مضيفا إلى ذلك ما تمثله من تلك المقاييس عند الجاحظ وابن المعتز والأصمعي وثعلب وغيرهم ممن سبقوه إلى النظر في وجوه البيان العربي . واستنباط محاسن الكلام فيه .

فقدامة بعلمه هذا يعد أول ناقد فتح في نقد الشعر العربي باب النظر والفلسفة . ونظم بعض المباحث البلاغية التي جاء العلماء من بعده فأتموا تنظيمها وأكملوها.

وبالتأمل فيما أورده قدامه في كتابه من ألوان بديعية وما جاء بعده من علماء البلاغة نجد أن قدامة احتل بكتابه نقد الشعر مكانته بين القدماء . حيث نرى الذين كتبوا بعده في البديع يلهجون باسمه . وفى مقدمتهم أبو هلال العسكري صاحب الصناعتين . وكذلك من كتبوا في عيوب الشعر ووجوه رداءته وفى مقدمتهم المرزبانى في كتابه " الموشح".

ولعل من أهم ما يلاحظ – أيضا – بعد العرض والدراسة للألوان البديعية عند قدامة في كتابه " نقد الشعر " أن الألوان البديعية عنده قد بحثت تحت اسم نقد الشعر . ولم تبحث تحت اسم البديع . ولكن الخطب يسير . فهو وإن لم يدرسها تحت اسم البديع . فقد درسها تحت أسماء قريبة من البديع . وهى النعوت والأوصاف . وتلك هي محاسن الكلام ولطائفه .

كما يلاحظ عليه أنه نبه أذهان علماء البديع إلى تقسيم الألوان البديعية إلى لفظية ومعنوية . وإن كان لم يوضح لنا إذا أعلمنا الفكرة في تأليف القطعة الأدبية وإظهار المعنى أيكون التفكير في المعنى وترتيبها في النفس . أم التفكير في الألفاظ وانسجامها موسيقيا ؟ بمعنى أنه لم يبين هل البلاغة للألفاظ أو البلاغة للمعاني ؟ كما فعل الجاحظ مثلا .

كما أنه لم يحاول أن يضع تعريفا للبديع أو يذكر اسمه في كتابه . كما لم يذكر ابن المعتز ولا بديعه في كتابه . ولعل للسياسة دخلا في ذلك إذ كان قدامة منحازا إلى المناوئين لابن المعتز في الخلافة [١].

وإذا كنت قد ألمحت عند عرض ألوان البديع عند قدامة إلى من تأثر بهم فإني في هذا المبحث سأحاول إماطة اللثام عن أهم من تأثر بهم . ومظاهر هذا التأثر . ومدى موافقته ومخالفته لهم .

١- **فالترصيع :**

ذكر الدكتور شوقي ضيف : أن قدامة في هذا اللون من التعبير يستمده من أرسطو في كتابه الخطابة . وحديثه المفصل عن الجمل ذات الأجزاء المتقابلة . ولعل قدامة رفض الإكثار من هذا التصريع و وفرة تتابعه لقول أرسطو إذا كان الكلام مقطعا ليس فيه اتصالات و انفصالات لم يلتذ به)[٢]

ولئن أربى قدامه على ابن المعتز بهذا اللون - كما أشرت - فإن قدامة مسبوق إليه من الجاحظ[٣] وثعلب[٤] . وإن سماه الجاحظ السجع والازدواج.

---

[١] - ينظر معجم الأدباء في الكلام على قدامه ج٦ ص٢٠٣ . وكتاب ابن أبى الإصبع بين علماء البلاغة ج١ .ص٦٤

[٢] - ينظر:البلاغة تطور وتاريخ ص٨٣ وانظر: تلخيص ابن سينا لكتاب الخطابة ص٢٣٣

[٣] - ينظر : البيان والتبيين ج١ ص ١١٧

[٤] - ينظر : قواعد الشعر . ص ٧٥

٢- **التشبيه** : عرفه ووصفه وبين شروطه . وقد سبقه إلى مصطلح التشبيه ابن المعتز ومن تقدمه إلا أن الفضل لقدامة في هذا اللون يرجع إلى التحديد والتنويع . سوى أن ثعلبا في كتاب " قواعد الشعر " قد شرط في التشبيه ألا يخرج إلى التعدي ولا إلى التقصير .

٣- **صحة التقسيم** : عرفه وشفع التعريف بأمثلة وشرحها وعلق عليها . وهو وإن أربى على ابن المعتز بهذا اللون . فلقد سبق إليه الجاحظ . فاقتبس قدامة منه التسمية . ومما نقله في فساد الأقسام[١] . وإن كان الدكتور شوقي ضيف يرجع أن قدامة اجتلب اصطلاحه من حديث أرسطو عن صور تأليف الكلام[٢] .

٤- **صحة المقابلات** : يرى صاحب الصبغ البديعي - كما أشرت - أن هذا اللون عند قدامة يشتمل على لونين من ألوان البديع . أولها : مراعاة النظر . وثانيهما : نوع من الطباق خص باسم المقابلة . وقدامه وإن أربى على ابن المعتز بهذه التسمية - فهو مسبوق بمادتها في الأصول العربية[٣] . ويرى الدكتور شوقي ضيف : أن قدامة استمد هذا المصطلح كسابقه من أرسطو في الخطابة وحديثه عن تأليف العبارة[٤] ويدخل هذا اللون عند ابن المعتز في المطابقة والطباق[٥] . وقد استمد السكاكى[٦] ما شرطه في المقابلة من قدامة.

---

[١] - ينظر : البيان والتبيين ج١ ص ٢٤٠
[٢] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٨٧
[٣] - ينظر : الصبغ البديعي ص ١٤٨
[٤] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٨٧
[٥] - ينظر : البديع لابن المعتز ص ١٢٤
[٦] - ينظر : مفتاح العلوم للسكاكى ص ٢٣٢

٥- **صحة التفسير** : عرفه ومثّل له شافعا أمثلته بالتوضيح . وقدامة لم يسبق إلى هذا النوع فهو من جديده . وواضح أن هذا النعت يتداخل مع النعتين السابقين من صحة المقابلات . وصحة التقسيم . فكأن قدامة فرع منها هذا الفرع الجديد[١] .

٦- **التتميم** : توارد قدامة في هذا اللون مع ابن المعتز . وإن سماه ابن المعتز كما أشرت الاعتراض . وسماه الجاحظ " إصابة المقدار " وسمى الكلام المشتمل عليه " الموزون " فالسبق لقدامة في التسمية بالتتميم أو التمام .

ثم إن في قول قدامة في تعريفه له : " إما بقصد المبالغة وإما بقصد الاحتياط " إشارة إلى أن التتميم على ضربين . وقد سمى المتأخرون الضرب الثاني بالتكميل أو الاحتراس[٢] .

٧- **المبالغة** : عرفها قدامة . ومثل لها بأمثلة أتبعها بالشرح . وهذا اللون سماه ابن المعتز " الإفراط في الصفة " . وإن كان الناس على تسمية قدامه . لأنها أخف وأعرف – كما ذكرت – وقد عرض لهذا اللون ابن قتيبه . وأرسطو . ولعل قدامة تأثر بهما[٣] .

٨- **التكافؤ** : حده قدامة . وذكر له أمثلة كثيرة . وهذا اللون – كما أشرت – هو المطابقة أو الطباق عند ابن المعتز غير أنه يخصه بمتضادين فقط . وكأنه يجعل توالى المتضادات مقابلة . أما مجيئها ثنائية فتكافؤ . وكان حريًا بقدامة أن يلغى هذا التكافؤ لدخوله في المقابلة . على أن البلاغين من بعده ظلوا على اصطلاح ابن المعتز لوضوحه في الدلالة

---

[١] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ٨٨
[٢] - ينظر : شروح التلخيص حـ ٣ ص ٣٢١
[٣] - ينظر : العمدة حـ ٢ ص ٥٤ ، ٥٧

على الجمع بين الضدين . فهذا اللون مما تداخل على قدامة . وقد عاب عليه الآمدى هذه المخالفة[١] .

٩- **الالتفات** : عرفه قدامة . ثم ساق له أمثلة وشرحها . وكلها يعطى أنه شق وأخذ من شقى الالتفات اللذين عرضت لهما في الحديث عن هذا اللون عند ابن المعتز[٢] . وهو الشق الذي استمده في كتاب " البديع من كلام الأصمعى . والذي يُخال فيه أن الشاعر قد فرغ من المعنى وأنه منتقل إلى غيره . فإذا هو يعود إليه واصلا كلامه به . على أن ابن المعتز خصه كما خصه الأصمعى بما يأتي في اخر البيت . أما ما يأتي في تضاعيفه فسماه اعتراض كلام في كلام . وقد جمع بينهما قدامة فسماهما جميعا " الالتفات " وهذا اللون يعد عند المتأخرين من علم المعاني .

١٠- **المساواة** : عرفها قدامة ومثل لها . وهو وإن أربى بها على ابن المعتز فقد استقى هذه التسمية من نصوص تقدم عليه أصحابها . وقد عرض لها الجاحظ[٣] . وعدها البلاغيون من علم المعاني[٤] .

١١- **الإشارة** : حدها ومثل لها بما يفيد تفسير ما قاله ابن المقفع عن معنى البلاغة[٥] وقد عرض لها المبرد وسماها الإيماء[٦] . فقدامة وإن أربى على ابن المعتز بهذا اللون فهو مسبوق إليه .

١٢- **الإرداف** : عرفه ومثل له بما يوضحه . وقد سُبق إلى هذا النوع . إلا أن الجاحظ لقبه بالتعريض والكناية . وتابعه ابن المعتز . أما ثعلب فسماه "

---

[١] - ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص٨٨ ، ٨٩
[٢] - ينظر : البديع لابن المعتز ص ١٥٤
[٣] - ينظر : البيان والتبيين ج١ ص ٧٩
[٤] - ينظر : شروح التلخيص حـ ٣ ص ١٨٠
[٥] - ينظر : البيان والتبيين ج١ ص ١٥٥
[٦] - ينظر : رغبة الأمل حـ ١ ص ٧٩

لطافة المعنى " وسماه المبرد " الكناية " وجعلها على ثلاثة أوجه — وقد قصر المتأخرون اسم الكناية[١] على ما عرف عند المتقدمين باسم الإرداف . وعدوها من مباحث علم البيان.

١٣- **التمثيل** : عرفه وأتبع التعريف بمجموعة من الأمثلة تناولها بالشرح والتحليل . وهذا اللون يشمل الاستعارة . وبعض صور الكناية . كما هو واضح من أمثلته .

وقدامة وإن أربى على ابن المعتز بهذا اللون لم يكن السابق إليه . فقد عرفه السابقون عليهما وسموه المثل كما أشرت عند الحديث عنه وقد سماه أبو هلال العسكرى المماثلة .

١٤- **المطابق** :

١٥- **المجانس** : من خلال العرض والدراسة لهذين اللون عند قدامه نجد أنه لا يعنى بالمطابق معناه عند ابن المعتز . وإنما يريد به — كما أشرت — ضربا من المجانس أو الجناس . وهو الجناس الكامل . وقد استعار لقب هذا النوع من ثعلب . وقد سماه العسكرى باسم " التعطف" [٢] .

أما المجانس . فقد جعله قدامة بين ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق . فقدامة يشقق الجناس الذي عرض له ابن المعتز ومن تقدمه وينوعه — كما ذكرت — فيطلق على ما كان بين الجوامد اسم المطابق . وعلى ما كان بين المشتقات اسم الجناس . وله سلف في هذا فأستاذه ثعلب في كتاب " قواعد الشعر " يسمى أنواع الجناس . كلها طباقا . كما نرى قدامة يسوق بعض أمثلة في الطباق مما أنشده ابن المعتز في فن الجناس .

---

[١] - ينظر : شروح التلخيص حـ ٤ ص ٢٣٧
[٢] - ينظر الصناعتين ص ٤٢٠

١٦- **التوشيح** : عرفه ثم ساق أمثلة لذلك اللون . هذا المحسن هو ما سماه ابن المعتز باسم " رد أعجاز الكلام على ما تقدمها " وإن توسع قدامة فيه بعض الشيء - كما أشرت - ولم يكن قدامة السابق إليه . فقد عرفه المتقدمون . وإن لم يسموه بهذا الاسم هذا وقد أشار ابن رشيق إلى الاختلاف في تسميته وأنواعه[1] .

١٧- **الإيغال** : حده قدامة ومثل له وشرح أمثلته وإن كان قد أربى على ابن المعتز بهذا اللون فقد سبقه إليه الأصمعي ولم يسمه . ونفس قدامة استشهد به فيه ونقل كلامه[2].

١٨- **الاستعارة** : عرض قدامة - كما ذكرت - للاستعارة في أثناء حديثه عن المعاضلة حيث فسرها بفاحش الاستعارة. وساق أمثلة لذلك . ثم ساق أمثلة لغير القبيح منها يشمل التصريحية والمكنية.

ومن خلال هذا العرض نرى قدامة قد ضاق بالاستعارة ذرعا ولا يستطيع تقبلها إلا إذا حملها على محمل التشبيه . ويحدثنا الدكتور / شوقي ضيف عن موقف قدامة من الاستعارة فيقول (ويظهر أن قدامة لم يفهم في دقة معنى المعاضلة اللغوي وهو ركوب الأشياء بعضها بعضا ... وكأنما غاب عن قدامة كل ذلك فإذا هو يطلق المعاضلة على فاحش الاستعارة . كتسمية بعض الشعراء رجل الإنسان حافرا. وليس هذا بمعاضلة إنما هو يُعَدُّ عيّ في الاستعارة. ومن الغريب أن قدامة لم يتكلم عن نعت الجودة فيها. مع أنه أحد الفنون الخمسة الأساسية للبديع عند ابن المعتز. وأكثر أرسطو في كتابه (الخطابة) من الحديث عنها ولعله أراد

---

[1] - ينظر : العمدة جـ ٢ ص ٣١ - ٣٣

[2] - ينظر : نقد الشعر ص ١٦٨ ، ١٦٩

أن يقلل من أهمية الفنون التي جعلها ابن المعتز أصول البديع وأركانه الأساسية)[١].

١٩- **التفريع** : عرفه ومثل له قدامة وإن أربى على ابن المعتز بهذا اللون ليس بالسابق إليه كما أشرت فقد سبق به علم العروض والقوافي على يد الخليل بن أحمد.

---

[١] - ينظر : البلاغة وتطور وتاريخ ص ٩١

المبحث الثالث

الألوان البديعية التي توافق فيها ابن المعتز وقدامة وما خلصت لكل منهما

بعد العرض والدراسة لألوان البديع عند ابن المعتز وقدامة والتأمل في هذه الفنون نتبين أن هناك ألوانا من البديع توافق فيها . وألوانا أخرى خلصت لكل منهما.

وفي هذا المبحث سأحاول كشف النقاب عن الألوان البديعية التي توافق فيها مشيرا إلى أهم ما تميز به كل لون عند كل منهما . ثم أبين ما خلص لكل منهما.

أولا : ما توافق فيه من أنواع

لقد توافق قدامة بن جعفر مع ابن المعتز في سبعة ألوان بديعية هي :

١- التشبيه	٢- التتميم	٣- المبالغة	٤- التكافؤ
٥- الالتفات	٦- الإرداف	٧- الجانس	

أولا : التشبيه .

جعله ابن المعتز ضمن محاسن الكلام وساق له أمثلة وشواهد كثيرة بدأها كما قال بإمام الشعراء على حد قوله وهو امرؤ القيس . وعلى الرغم من أن ابن المعتز مسبوق بمن تكلم عن التشبيه بمعناه الاصطلاحي وفصَّل الحديث فيه كالجاحظ والمبرد نجد ابن المعتز اكتفى بإيراد أمثلة كثيرة من شعر القدماء والمحدثون دون أن يتعرض لها بشرح أو تحليل.

أما قدامة فقد عرفه ووصفه وبين شروطه . وسمات أحسن التشبيهات وأهم أضربه . كما ساق مجموعة من الأمثلة والشواهد تناولها بالشرح

والتحليل وبين مواطن الشاهد فيها . والفضل لقدامة في هذا الفضل يرجع إلى التحديد والتقسيم وقد جعل البلاغيون هذا الفن بعد تقسيمهم البلاغة إلى معان وبيان وبديع ضمن أنواع علم البيان.

ثانيا : التميم

جعله ابن المعتز ضمن محاسن الكلام والشعر . وسماه الاعتراض . ومثل له ولم يكثر ولم يعلق على ما مثل به بشيء . وقد سمى الجاحظ هذا اللون (إصابة المقدار) ضمن أنواع الإطناب وبذلك يسلك في علم المعاني.

أما قدامة فالسبق له في تسمية هذا اللون بالتتميم أو التمام . وقد عرفه وجعله على ضربين – كما أشرت – وهي إما بقصد المبالغة . وإما بقصد الاحتياط . ثم ساق لكل نوع مجموعة من الأمثلة . تناولها بالشرح والتحليل وقد سمى المتأخرون الضرب الثاني بالتكميل أو الاحتراس.

الثالث : المبالغة:

تناوله ابن المعتز ضمن محاسن الكلام والشعر. وعرف عنه باسم: " الإفراط في الصفة" ولم يعرفه واكتفي بالتمثيل له بمجموعة من الأمثلة دون شرح أو تحليل. ولكن يفهم من الأمثلة التي أوردها أن الإفراط في الصفة يأتي علي ضربين: ضرب فيه ملاحة وقبول . وضرب آخر فيه إسراف وخروج بالصفة عن حد القبول. وابن المعتز مسبوق إليه بالأصمعي وابن قتيبة والمبرد فيما نقله ابن رشيق.

أما قدامة فقد عرف هذا اللون عنده بهذا الاسم. وعرفه ومثل له بأمثلة أتبعها ببيان موضع هذا اللون البديعي. والبلاغيون علي تسمية قدامة لأنها أخف وأعرف. وإن توسعوا في أقسامه.

الرابع : التكافؤ :

عرف هذا اللون عند ابن المعتز باسم المطابقة أو الطباق. ونقل تعريف الخليل له ثم إن الظاهر من أمثلة ابن المعتز أن المراد بالمطابقة عنده هو جمع كلمتين متضادتين والمقابلة بينهما. كما أن الأمثلة تشتمل علي مطابقة الإيجاب والسلب. وإن كان لم يفرق بينهما. كما أنهي كلامه عن هذا اللون بذكر المعيب منه.

هذا وقد أكثر ابن المعتز من أمثلة هذا اللون من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم. وبعض التابعين وغيرهم وشعر الشعراء القدامى والمحدثين. معلقا علي القليل منها ببيان المطابقة. وأنهي كلامه بذكر المعيب منها. وفي كل مثال كشف عن موطن التكافؤ.

أما قدامة فقد عرف عنده هذا اللون بهذا الاسم. وحده وذكر له أمثلة كثيرة أو في كل مثال كشف فيه عن موطن التكافؤ. إلا أن البلاغيين من عبده ظلوا علي اصطلاح ابن المعتز لوضوحه في الدلالة علي الجمع بين الضدين. وتوسعوا في دراسته.

خامسا: الالتفات :

جعله ابن المعتز ضمن محاسن الكلام . وعرفه وإن كان تعريفه – كما أشرت – شمل شيئين : الأول ما عرف بالالتفات في عرف المتأخرين . والثاني نوع من الاعتراض وقد ساق مجموعة من الأمثلة من القرآن الكريم. والشعر دون أن يكشف عنه وقد تأثر به المتأخرون كابن رشيق . وابن الأثير.

أما قدامة بن جعفر فقد عرفه إلا أن تعريفه أخص من معناه عند ابن المعتز حيث قصره على المعنى الثاني الذي ذكره ابن المعتز . ويقصد به قدامة ما يشمل التذييل. انظر إلى تعريفه حيث يقول : الالتفات هو أن

يكون الشاعر آخذ في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله . أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه . فإما أن يذكر سببه . أو يحل الشك فيه)[١]. ثم ساق أمثلة له وشرحها . وكلها يعطي أنه نوع من نوعي الاعتراض عند ابن المعتز[٢].

سادسا: الإرداف:

هذا اللون هو ما يعرف عند ابن المعتز(بالتعريض والكناية)[٣] . وهو وإن كان لم يعرفها إلا أنه ساق مجموعة من الأمثلة يفهم منها معناها. كما أنه لم يتوسع في الكلام عنها كالجاحظ والمبرد وثعلب وهم من أشهر أساتذته. ولم يفرق ابن المعتز بين التعريض والكناية . ولا بين أمثلته التي أوردها لكل منهما ما يدلنا على أنهما مترادفان عنده -- كما أشرت- في حين أن البلاغيين المتأخرين فرقوا بين الكناية والتعريض وجعلوهما أحد مباحث علم البيان[٤].

أما قدامة فقد عرف الإرداف . وساق مجموعة من الأمثلة تناولها بالشرح والتحليل وكلها من أمثلة الكناية.

سابعا: المجانس :

هذا اللون يسمه ابن المعتز (التجنيس) وقد ذكره في ألوان البديع. ويعد أهم من درس التجنيس في وقته . فقد عرفه وجمعه . كما أنه الواضع له هذا اللقب أعني (التجنيس) وأول من أفرد هذا الباب بالبحث والتأليف. وأفاض في ذكر شواهده هو وذكر مثلا لمعيبه.

---

[١] - ينظر : نقد الشعر ص ١٥٠

[٢] - ينظر : البديع لابن المعتز ص ١٥٤

[٣] - ينظر : البديع لابن المعتز ص ١٦٠

[٤] - ينظر ك شروح التلخيص جـ ٣ ص ٢٤٧

أما قدامة فقد شقق الجناس الذي عرض له ابن المعتز ومن تقدمه ونوعه. فأطلق على ما كان بين الجوامد اسم المطابق . وعلى ما كان بين المشتقات اسم المجانس وقد عرفه ومثل له . وله سلف في هذا فأستاذه ثعلب في كتاب (قواعد الشعر) يسمى أنواع الجناس كلها طباقا . كما نرى قدامة يسوق أمثلة في الطباق مما أنشده ابن المعتز في فن الجناس. وقد سماه أبو هلال العسكري باسم (التعطف) . وكان حريا ألا يفرده البلاغيون عن الجناس لأنه صورته الكاملة وأن يتأسوا في ذلك بصنيع ابن المعتز.

ثانيا: ألوان البديع التي خلصت لابن المعتز و قدامة

لعل من الممكن بعد استخلاص ألون البديع السبعة التي توارد فيها قدامة مع ابن المعتز نستطيع الوقوف على ألوان البديع التي خلصت لابن المعتز . وما أضافه قدامة . وهي على الوجه التالي : -

أولا : الألوان التي خلصت لابن المعتز :

١- الاستعارة : وقد عدها البلاغيون فيما بعد من أبواب علم البيان.

٢- رد أعجاز الكلام علي ما تقدمها: وهو من ابتكاره التي لم يسبق إليها. وقد عرف عند البلاغين بين فنون البديع برد العجز على الصدر.

٣- المذهب الكلامي : وقد عده البلاغيون من المحسنات المعنوية.

٤- الرجوع : وعده البلاغيون أيضا من المحسنات المعنوية.

٥- حسن الخروج : ذكره ابن المعتز ضمن محاسن الكلام. وسماه بعض البلاغيين بالاستطراد والتخلص. وعرف عند المتأخرين بالاستطراد.

٦- تأكيد المدح بما يشبه الذم : وهو - كما ذكرت- من ابتكاره واصطلاحه. وقد التزم بهذه التسمية البلاغيون.

٧- تجاهل العارف : ويعد – أيضا- من ابتكاره واصطلاحه. وسماه المتأخرون " الإعنات والتشكيك".

٨- الهزل الذي يراد به الجد : وهو من ابتكاره . وقد التزم بهذه التسمية البلاغيون وعدوه من المحسنات المعنوية.

٩- حسن التضمين : سماه أبو هلال العسكري " حسن الأخذ" والتزم البلاغيون بتسمية ابن المعتز. وعده الخطيب ضمن ما يتصل بالسرقات الشعرية[١].

١٠- إعنات الشاعر في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له. وهو من ابتكاره وقد عرف فيما بعد باسم " لزوم ما يلزم" وتوسع البلاغيون في الكلام عنه ولقبوه ألقابا مختلفة. وعدوه من المحسنات اللفظية.

١١- حسن الابتداءات . سماه ابن المعتز بهذا الاسم. وفرع البلاغيون من هذه التسمية براعة الاستهلال . وعده الخطيب من مواضع التأنق في الكلام[٢].

وبعد فهذه ألوان البديع التي خلصت لابن المعتز في كتابه البديع. وإليه يرجع قصب السبق في بعضها. وقد سبق دراستها وإبداء الرأي فيها.

ثانيا : ألوان البديع التي أضافها قدامة.

سبق أن وقفنا علي عشرين لونا من ألوان البديع عند قدامة توارد مع ابن المعتز في سبعة منها وخلص له ثلاثة عشر لونا. وهي:

١- الترصيع : جعله قدامة من نعوت الوزن. وعده الخطيب من المحسنات اللفظية.

---

[١] - ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح جـ٤ ص١٣٤.

[٢] - ينظر : الإيضاح لتلخيص المفتاح جـ٤ ص ١٥١.

٢- صحة التقسيم : جعله من نعت ما يعم جميع المعاني الشعرية. وهو من المحسنات المعنوية عند الخطيب.

٣- صحة المقابلات : جعله من أنواع المعاني وأجناسها. وقد أفاد صاحب الصبغ البديعي أنه يشتمل على لونين من البديع : مراعاة النظير . ونوع من الطباق خص باسم المقابلة.

٤- صحة التفسير - لم يسبق إليه قدامة- وواضح أنه يتداخل مع اللون السابقين.

٥- المساواة. وهي لون من ألوان التعبير عدها البلاغيون من علم المعاني.

٦- الإشارة. حدها ومثل لها وسماها المبرد الإيماء.

٧- التمثيل : عرفه واتبعه بمجموعة من الأمثلة تشمل : الاستعارة التمثيلية. وبعض صور الكناية. وقد سماه أبو هلال - كما أشرت- " المماثلة".

٨- المطابق: ويقصد به قدامة - كما أشرت- الجناس الكامل. وهو ما يكون بين معان متغايرة اشتركت في لفظة واحدة بعينها. ككلمة " الهوجل" تطلق على الأرض والناقة. وهو بهذا المصطلح ضرب من الجناس عند الخطيب.

٩- ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت. سماه المتأخرون " التمكين" هكذا قال ابن أبي الإصبع في المقدمة[١].

١٠- التوشيح : عرفه ومثل له. وقد عرف عند البلاغيين بالإرصاد أو التسهيم. وهو من المحسنات المعنوية عند الخطيب[٢].

---

[١] - ينظر بديع القرآن ص٨٩.
[٢] - ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح جـ٤ ص٢٥.

١١- الإيغال. ذكره البلاغيون ضمن ألوان الإطناب فهو داخل عندهم ضمن علم المعاني[١].

١٢- الاستعارة : عرض لها قدامة في أثناء حديثه عن المفاضلة حيث فسرها بفاحش الاستعارة. ولا يرتضيها إلا إذا حملها محمل التشبيه. فبين الاستعارة عند ابن المعتز وقدامة تبايناً.

١٣- التصريع : جعله قدامة من نعت القوافي. وأفاد - كما أشرت- إلي أن الفحول الجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخونه. ولا يكادون يعدلون عنه.

هذه هي ألوان البديع التي أضافها قدامة إلي ما أورده ابن المعتز ويكون بذلك تكامل لهما ثلاثون نوعا وإن كان بعضها عرف بعد ذلك عند البلاغيين ضمن أبواب علم المعاني وعلم البيان بعد تقسيم علوم البلاغة إلي معاني .وبيان. وبديع.

---

[١] - ينظر شروح التلخيص جـ٣ ص ٢٢٠.

الخاتمة

بعد هذا العرض والدراسة لألوان البديع بين ابن المعتز و قدامة بن جعفر والموازنة بين هذه الألوان . نستطيع أن نقف على عدة نتائج أهمها ما يلي:-

١- أن كلمة البديع في اللغة تدور حول المحدث . والمخترع . وقد جاءت في الشعر الجاهلي . وشعر المخضرمين . والإسلاميين كما جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف تعني هذه المعاني.

٢- أن هذه الكلمة يظهر أنها في عهد الجاحظ جرت على ألسنة وأقلام العلماء وصفا للمعاني والصور الغريبة الطريفة . حتى صارت أشبه بالاصطلاح الذي يدل على الجديد المستحسن في البيان العربي . فإذا ما تقدمنا مع هذه الكلمة إلى القرن الرابع نجدها وقد صارت مصطلحا علميا يدل على هذه الفنون الجديدة الغريبة التي تكسب الكلام حسنا وقوة وبيانا. وهذا ما عناه ابن المعتز بإطلاق كلمة البديع علي الفنون البديعية التي أوردها في كتاب البديع.

٣- أننا من تتبع كلمة البديع وما تعنيه في أطوارها المختلفة في تاريخ الدراسات البلاغية يظهر لنا أن القدماء كانوا يطلقونها علي علوم البلاغة. وكانت عندهم مرادفة لكلمة البلاغة. أما المتأخرون فقد جعلوا البديع أحد علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع.

٤- أن للبديع منزلة رفيعة إذا أتي عفوا دون تكلف. وتطلبه المعني.

٥- أنه يظهر لنا من أقوال العلماء أن كتاب البديع. أول كتاب يحمل هذا الاسم. وأول كتاب جمع ألوانا بديعية في كتاب باسمها.

٦- أن ابن المعتز تناول ثمانية عشر مصطلحا كان له فضل السبق إلي خمسة منها فهي من اختراعه، وهي (إعنات الشاعر نفسه في القوافي (لزوم مالايلزم)- تأكيد المدح بما يشبه الذم تجاهل العارف- رد الأعجاز علي الصدور - الهزل الذي يراد به الجد). أما الثلاثة عشر مصطلحا الباقية فهو مسبوق إليها، وإن كان له فضل التسمية والتمثيل في مصطلحي التضمين، وحسن الخروج.

٧- أن ابن المعتز سلك في دراسة ألوان البديع نحو الدراسة التطبيقية الواسعة التي لها أثرها في تكوين الملكة والذوق، ودعم الفكرة والرأي في نفس القارئ فضلا عن كثرة ما ساقه من أمثلة وشواهد من القرآن الكريم والسنة وأشعار الشعراء القدامي والمحدثين لدرجة أنه يكاد يكون شواهد كله.

أن أهم سمة يمتاز بها كتاب ابن المعتز هو النظام الدقيق في العرض مما يتجلي في جميع أبواب الكتاب.

٨- أن قدامة بن جعفر يعد ثاني اثنين أسهما في إقامة صرح البديع، ابن المعتز سالف الذكر و قدامة بكتابه نقد الشعر.

٩- أنه من خلال تحسس ألوان البديع التي عرض لها قدامة في كتابه نقد الشعر، وفي ضوء الاستقراء والتتبع نجد أن كتابه قد اشتمل علي عشرين لونا من ألوان البديع اتفق مع ابن المعتز في سبعة منها وخلص له ثلاثة عشر لونا، وبذلك يكون مجموع ألوان البديع التى توصلا إليها ثلاثين لونا.

١٠- أنه يغلب علي منهج قدامة في تناوله لألوان البديع المنهج العلمي الذي يعتمد علي التعريف والتحديد، وحصر المسائل.

وإحصاء الأحوال واستقصاء الأجناس. فهو يحكم عقله المنطقي. ويظهر من كتابه أنه اطلع علي الأدب العربي. وعلي آراء الفلاسفة في نقد الشعر. واستفاد من الاثنين. إلا أن تأثره بعقله الفلسفي أكثر من تأثره بمناهج النقاد العرب لذا فإن هناك تباين بين منهجه ومنهج ابن المعتز.

١١- أن للكتابين معا – البديع لابن المعتز. ونقد الشعر لقدامة– أهمية كبيرة في الدرس البلاغي وخاصة فنون البديع فكل من جاء بعدهما من البلاغيين قد استفاد منهما. فقد مهدا السبيل لكثير من العلماء الذين خاضوا بحار الصنعة. واستحسنوا فنونا بديعية كثيرة . ثم إن قدامة بمنهجه قد نبه أذهان البلاغيين إلي تقسيم الألوان البديعية إلي لفظية ومعنوية.

١٢- أنه إذا كنا قد احصينا لقدامة عشرين لونا من البديع. فإنه مما يثير العجب أنه لم يحاول أن يضع تعريفا للبديع. أو يذكر اسمه في كتابه. كما لم يذكر ابن المعتز ولا بديعه في كتابه. ولعل للسياسة دخلا في ذلك إذ كان قدامة منحازاً إلي المناوئين لابن المعتز في الخلافة.

١٣- أن ما سماه ابن المعتز البديع وما أطلق عليه محاسن الكلام والشعر في كتابه البديع. وكذا ما تحسسناه من ألوان بلاغية عند قدامة في كتابه نقد الشعر بعضه من أبواب علم المعاني. وبعضه من البيان. وبعضه من البديع عند المتأخرين من البلاغيين. بعد ما أصبح كل علم قائما بذاته له مسائله ومباحثه.

تم بحمد الله تعالي وعونه وتوفيقه. وأدعو الله عز وجل أن يبارك في هذا الجهد المتواضع. وأن يحظى بالرضا والقبول. وأن يسدد الخطى. إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾

وصل اللهم وسلم وبارك علي سيدنا محمد الذي أوتي جوامع الكلم وعلي آله وصحبه.

أهم المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم

٢- أثر النحاة في البحث البلاغي للدكتور / عبد القادر حسين.

٣- أسرار البلاغة للشيخ / عبد القاهر الجرجاني . ت د / عبد المنعم خفاجي.

٤- إعجاز القرآن للباقلاني. تحقيق السيد أحمد صقر ط . دار المعارف ١٩٦٣ م

٥- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. على بن الحسين . نشر دار الثقافة بيروت ١٩٥٧ م

٦- الأوراق. (أشعار أولاد الخلفاء) للصولى : أبو بكر محمد بن يحي . طبعة الصاوي بمصر ١٩٣٦م

٧- الإيضاح لتلخيص المفتاح للخطيب القزويني شرح / عبد المتعال الصعيدي.

٨- البديع /لأبي العباس عبد الله بن المعتز . ت د /عبد المنعم خفاجي · دار الجيل - بيروت لبنان.

٩- بديع القرآن / لابن أبي الإصبع . تقديم وتحقيق . د / حفني محمد شرف.

١٠- بديع أسامة بن منقذ.

١١- البلاغة تطور وتاريخ . للدكتور / شوقي ضيف.

١٢- البلاغة الفنية . د / علي الجندي.

١٣- ابن المعتز وآراءه البلاغية والنقدية. للدكتور عبد الرازق أبو زيد زايد مكتبة الشباب

١٤- ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان . د / عبد المنعم خفاجي.

١٥- ابن أبي الإصبع بين علماء البلاغة.للدكتور حفنى محمد شرف الطبعة الأولى

١٦- البيان والتبيين / للجاحظ.- تحقيق عبد السلام هارون . ط الثالثة . نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة

١٨- تاريخ بغداد. (أو مدينة السلام) نشر دار الكتاب العربي ببيروت.

١٩- تاج العروس. للسيد مرتضى الزبيدي

٢٠- تأويل مشكل القرآن. لابن قتيبة الدينوري

٢١- تلخيص ابن سينا لكتاب الخطابة.ط . وزارة التربية والتعليم

٢٢- جهود قدامة البلاغية في كتابه نقد الشعر. د / هاشم محمد هاشم. بحث منشور بحولية كلية الدراسات بسوهاج. العدد الثالث سنة (١٩٨٧)م.

٢٣- حاشية الدسوقي .ضمن شرح التلخيص.

٢٤- حسن التوسل.إلى صناعة الترسل شهاب الدين الحلبي ط : مطبعة أمين أفندي ١٣١٥هـ

٢٥- الحيوان / للجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الأولى . ط . الحلبي ١٣٥٧هـ

٢٦- دلائل الإعجاز للشيخ / عبد القاهر الجرجاني. ت د / عبد المنعم خفاجي.

٢٧- ديوان حسان بن ثابت. دار صادر بيروت.

٢٨- ديوان عمر بن أبي ربيعة. ط السعادة.

٢٩- ديوان امرئ القيس. نشر دار صادر بيروت.

٣٠- ديوان أوس الطائي. شرح / الخطيب التبريزي.

٣١- ديوان النابغة. الزبياني

٣٢- رسائل البلغاء. ط . القاهرة.

٣٣- رسائل ابن المعتز. في النقد والأدب والاجتماع . ط أولى مطبعة الحلبي

٣٤- رغبة الآمل. من كتاب الكامل : المرصفي : مصر سنة ١٩٢٨م

٣٥- سر الفصاحة . / لابن سنان الخفاجي.

٣٦- سلسلة أعلام العرب . د / أحمد كمال زكي.

٣٧- شروح التلخيص.

٣٨- الصبغ البديعي في اللغة العربية. د/ أحمد إبراهيم موسى. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

٣٩- صحيح مسلم . ط الأولى عيسى البابي الحلبي.

٤٠- الصناعتين الكتابة والشعر . / لأبي هلال العسكري. دار الكتب العلمية.
٤١- طبقات الشعراء المحدثين لعبد الله ابن المعتز . ت عبد الستار فراج نشر دار المعارف ١٩٥٦م
٤٢- الطراز العلوي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٤٣- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده / لابن رشيق.
٤٤- الفن ومذاهبه في الشعر العربي. للدكتور شوقي ضيف.
٤٥- الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي.للدكتور فوزي السيد عبد ربه.
٤٦- الفهرست / لابن النديم.نشر مكتبة خياط بيروت.
٤٧- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية الحنبلي. ت / محمد بدر الدين. ط السعادة.
٤٨- القاموس المحيط. للفيروز آبادي . ط : مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٤٩- القرطبي. ط دار الكتب المصرية.
٥٠- قواعد الشعر / لثعلب. تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب. ط أولي . نشر دار المعرفة بالقاهرة.
٥١- الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد.ط الأولي مطبعة التقدم العلمية القاهرة ١٣٢٣هـ.
٥٢- كشف الظنون.
٥٣- لسان العرب/ لابن منظور.
٥٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / لابن الأثير.
٥٥- مجاز القرآن / لأبي عبيدة. معمر بن المثني.
٥٦- المصباح المنير. للفيومي.
٥٧- مصلحات بلاغية. للدكتور أحمد مطلوب. ط مطبعة العاني. بغداد ١٩٧٢م.
٥٨- معجم ألفاظ القرآن الكريم . ط الأميرية بالقاهرة.

٥٩- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. لعبد الرحيم أحمد العباسي.

٦٠- مفتاح العلوم. / للسكاكي . ط : الثانية الحلبي.

٦١- من حديث الشعر والنثر للدكتور / طه حسين.

٦٢- الموازنة بين أبي تمام وخصومه. للآمدي. تحقيق السيد أحمد صقر . ط: دار المعارف بمصر.

٦٣- النجوم الزاهرة.

٦٤- نزهة الألباء في طبقات الأدباء.

٦٥- نقد الشعر / لقدامة بن جعفر. ت د / عبد المنعم خفاجي . ط : أولى

٦٦- النقائص. لأبي عبيدة.

٦٧- نهج البلاغة. للإمام علي بن أبي طالب.

٦٨- النهاية في غريب الحديث والأثر. / لابن الأثير. ط: أولي

٦٩- وفيات الأعيان . / لابن خلكان. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط مطبعة السعادة.

فهرس الموضوعات